الإرشاد والتنبيه

لمعرفة الفضل

لأهله وذويه

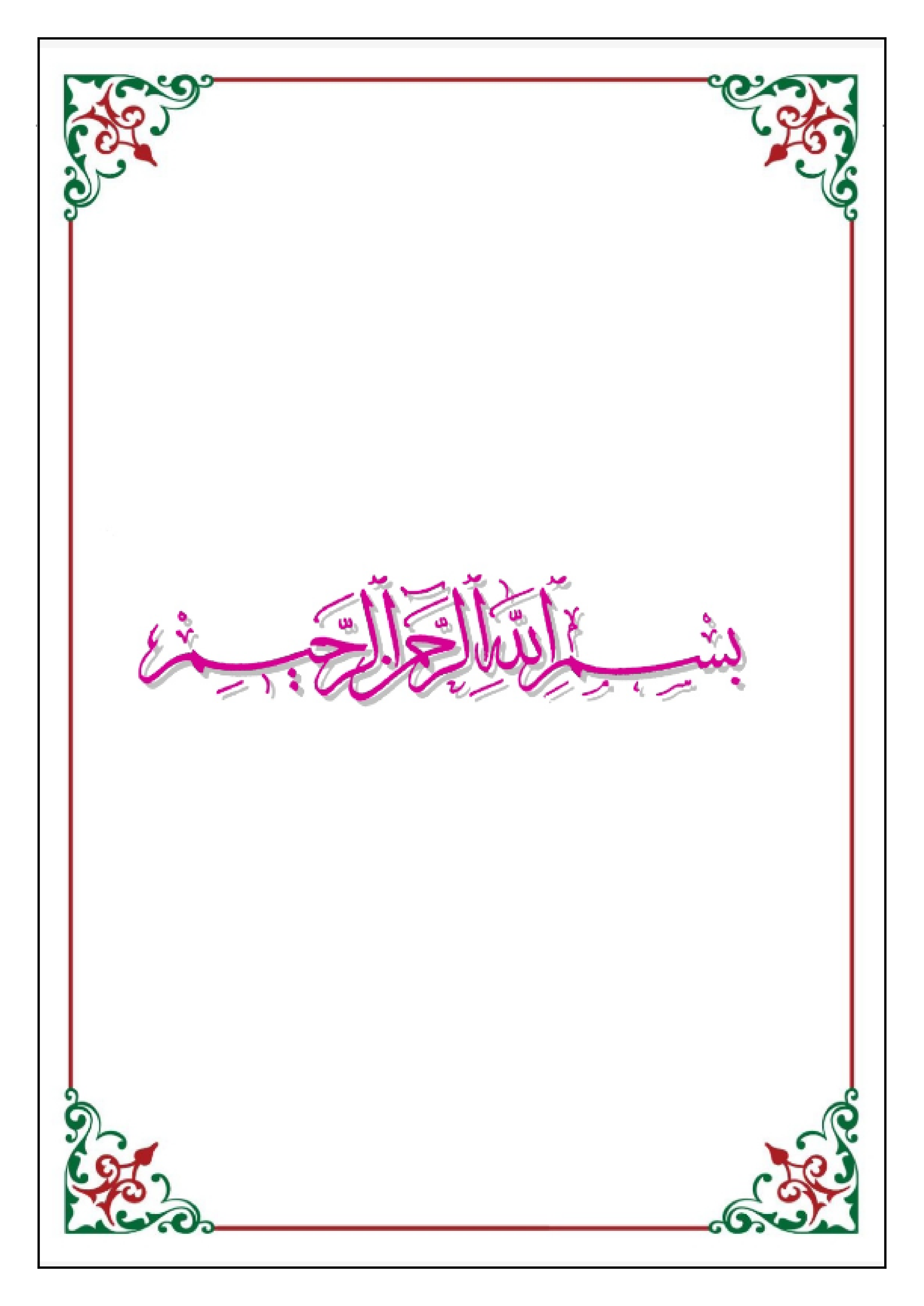


تأليفُ أبي محمد

عبد اللّٰه بن عبد الباري

التعزي الماوي

الإرشاد والتنبيه
لمعرفة الفضل
لأهله وذويه


بسم الله الرحمن الرحيم

[المقدمة]

إنّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، شهادة عبده وابن عبده وابن أمته ، ومن لا غنى له طرفة عين عن رحمته.

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين، وجعله حجة على العباد أجمعين، فشرح به الصدور ، وأنار به العقول ، وفتح به أعيناً عمياً، وآذانا صمّاً، وقلوباً غلفا، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان، وسلم تسليما كثيرا.

{ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا } [النساء: ١] .

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون} [آل عمران: ١٠٢] .

{يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم * يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد} [الحج: ١_٢]

أما بعد : فإن أحسن الحديث كلام الله وخير الهدي هدي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

أما بعد :

فإنه لما كان للآخرين علينا فضل كبير أحببت أن أجمع حول موضوع (معرفة الفضل لأهله) فأقول مستعيناً با لله :-

إن مما جاء به دين الإسلام الحنيف هذه الطاعة العظيمة والقربة الجليلة والخلق الرفيع والكنز البديع ألا وهو : معرفة الفضل لأهل الفضل. وهذا الموضوع له بالغ الأهمية حتى يصلح واقع الأمة مجتمعات، وأفرادا.

وهذا الأمر قد أشار إليه ربنا عزوجل في كتابه، وحث عليه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في سنته، وهو أمر كانت تتفاخر به العرب في أشعارها وخطاباتها، ولم يتنكر له إلا لئيم

قال الله عزوجل : {هل جزاء الإحسان إلا الإحسان} [الرحمن: ٦٠]

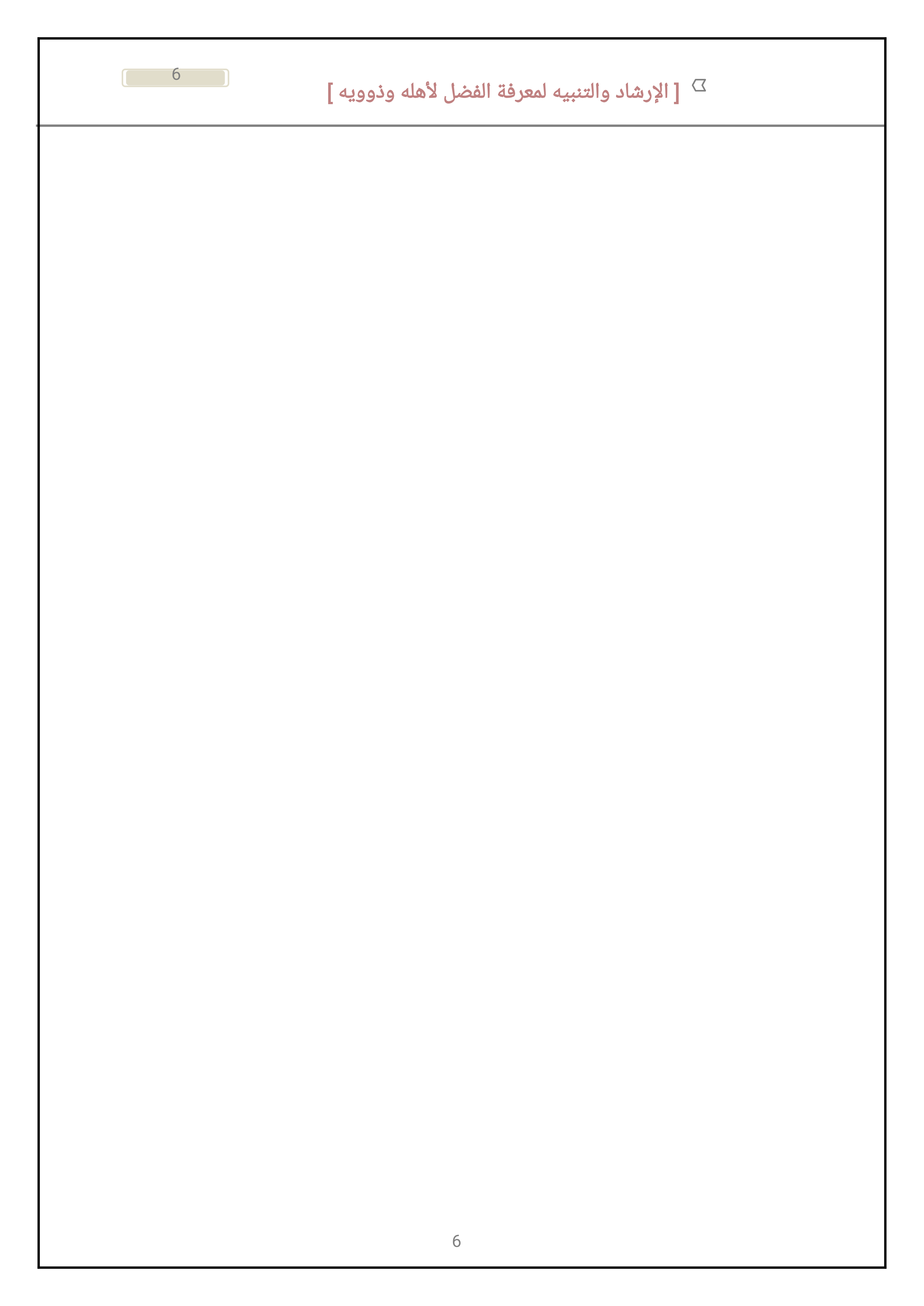
وقال سبحانه : {وأحسن كما أحسن الله إليك} [القصص: ٧٧]

وأدلة كثيرة سيأتي إن شاء الله ذكر جملة كبيرة منها.

بل لو تأملنا في دين الإسلام بنظرة عامة لو جدنا أن دين الإسلام كله إنما قام على قضية : معرفة الفضل لأهله.

فالرب جل وعلا هو المتفضل علينا بجميع النعم ، ومعرفة فضله علينا لا يكون إلا بالقيام بدين الإسلام، الذي أمر به.

فتبين بهذا أن دين الإسلام كله إنما هو معرفة الفضل لأهل الفضل، وهذه أعظم إشارة تدل على أهمية هذا الموضوع العظيم.



باب: معرفة فضل الله تعالى على عباده

لقد جاءت الأدلة الكثيرة في حث العبد على معرفة فضل ربه تعالى عليه، وتذكيره بذلك والامتنان عليه به حتى لا ينساه فيكون من الأشقياء واللؤماء عياذاً بربنا سبحانه من ذلك.

اعلم يا عبد الله أن الله سبحانه تفضل علينا بنعم كثيرة، لا نحصيها لو أنها عُدّت ، بل كل نعمة فينا فإنما هي منه سبحانه وحده لا شريك له.

ويبين هذا قوله سبحانه:{وما بكم من نعمة فمن الله} [النحل: ٥٣]
وقوله عز وجل:{وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها} [النحل: ١٨]

وقول النبي ﷺ كما في حديث عبد الله بن غنام البياضي رضي الله عنه عند أبي داود :« اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر » الحديث ضعيف؛ لجهالة ابن عنبسة، ولكن هذا الجزء منه معناه لاشك في صحته.

وكم نقرأ من الآيات التي يبين الله عزوجل فيها أنه تفضل علينا بالنعم الكثيرة، الباطنة، والظاهرة؛ لكي نعرف فضل منعمها فنشكره؛ ولهذا أمرنا في عديد من الآيات أن نذكر نعمه؛ لأن ذكر النعم سبب لشكرها، قال عزوجل:{فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون} [الأعراف: ٦٩]، وقال سبحانه:{فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين} [الأعراف: ٧٤]

روى ابن أبي الدنيا في " الشكر " (٤٧) عن عائشة مرفوعا «ما أنعم الله على عبد نعمة، فعلم أنها من الله، إلا كتب الله له شكرها»

💢 وذكر النعم سبب لحُب مُسديها، وهذا من المقاصد الشرعية، ولهذا روى الترمذي عن ابن عباس مرفوعا«أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه»

قال بعضهم: إذا كانت القلوبُ جُبلت على حُب من أحسن إليها، فواعجبا لمن لا يَرَى مُحسنا إلا الله، كيف لا يَميلُ بكليته إليه ؟!

وقال بعضهم:

إذا أنت لم تزدد على كل نعمة لمؤتيكها حبا فلست بشاكر
إذا أنت لم تؤثر رضى الله وحده على كل ما تهوى فلست بصابر .

انظر " مجموع رسائل ابن رجب " (٣٤٩/١)

وبتوفيق الله تعالى قد قمت بجرد المصحف من فاتحته إلى خاتمته فملأت يدي خيرا، ووجدت كما هائلا من الآيات في هذا الموضوع، لم أكن أظن أنها بهذا القدر ، كثيرة ، وأظن الآن أنه لو استقصى واحد لوجد أكثر مما ذكرته من الأدلة، وبهذا وصلت إلى يقين تام بأن هذا الموضوع من أهم القضايا، الدينية، التي يَجبُ على العبد معرفتها، ومراعاتها ؛ ليكون ناجحا في أمر دينه.

💢 وتذكر النعم يورث الحياء من المنعم سبحانه، وهذا أيضا مطلب شرع، عزيز ؛ لأن العبد إذا قام في قلبه الحياء من ربه سبحانه زجره ذلك الحياء من ارتكاب ما نهاه.

تأمل لو أن إنسانا يعطيك كل شهر مليون ريالا سعوديا ويأمرك بأشياء وينهاك عن أشياء ، ألن تستحي أن يراك تعصيه؟!

كيف بمن يعطيك كل يوم ما هو أعظم، وأعظم، وأعظم من مليارات الدولارات، من نعمة السمع، والبصر ، والتنفس، و... فلو حبس عنك نعمة من هذا يوما واحدا لتكدرت حياتك!

ولنعمة واحدة من هذه النعم تسوى كل كنوز الدنيا، وقد قيل لهارون الرشيد: أرأيت إن مُنعت شربة ماء بكم تشتريها؟ قال: بنصف ملكي! قيل: أفرأيت إن حُبست فيك، بكم تخرجها؟ قال: بنصف ملكي الآخر. فقيل له: ملكك لا يساوي شربة ماء!

فإذن أليس الله تعالى أحق أن تستحي من عصيانه وهو يراك ؟!

فلماذا لا يقول أحدنا لنفسه: كيف أعصيه وهو الذي أعطاني كذا وكذا، بل كل نعيمي منه.

قال ابن رجب رحمه الله تعالى: العجب ممن يعلم أنّ كل ما به من النعم من الله، ثم لا يستحيي من الاستعانة بها على ارتكاب ما نهاه!

هب البعث لم تأتنا رسله   وجاحمة النار لم تضرم
أليس من الواجب المستحق   حياء العباد من المنعم

ثم قال: مَن كثرت عليه النعم فليقيدها بالشكر ، وإلا ذهبت.

إذا كنت في نعمة فارعها ... فإن المعاصي تزيل النعم
وحافظ عليها بشكر الإله ... فشكر الإله يزيل النقم.

ودخل خالد بن صفوان على عمر بن عبد العزيز فقال: يا أمير المؤمنين إن الله لم يرض أن يكون أحد فوقك، فلا ترض أن يكون أحد أولى بالشكر له منك. فبكى عمر حتى غشي عليه.

" مجموع رسائل ابن رجب " (٣٥١/١)

* وفي ختام هذا الفصل سأقوم بسرد الأدلة التي وقفت عليها في تعريف العبد بفضل ربه سبحانه عليه

١_ قال تعالى:{يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون} [البقرة: ٢١_٢٢]

٢_ وقال سبحانه:{هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم} [البقرة: ٢٩]

٣_ {هو الذي يُصوركم في الأرحام كيف يشاء} [آل عمرن: ٦]

٤_ {ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا} [النساء: ٨٣]

٥_ {واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقكم الذي واثقكم به} [المائدة: ٧]

٦_ {أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة} [المائدة: ٩٦]

٧_ {الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون} [الأنعام: ١]

٨_ { إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون فالق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حُسباناً ذلك تقدير العزيز العليم وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون} [الأنعام: ٩٥_٩٧]

٩_ {وهو الذي أنزل من السماء ماءً فأخرج به نبات كل شيء فأخرجنا منه خَضِراً نخرج منه حباً متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية} [الأنعام: ٩٩]

١٠_ {وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات} [الأنعام: ١٤١]

معروشات أي: مبسوطات على الأرض كالبطيخ، وغير معروشات أي: مرتفعات على الأرض كالنخيل

١١_ {وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات} [الأنعام: ١٦٥]

١٢_ {ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون} [الأعراف: ١٠]

١٣_ {وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالاً سقناه إلى بلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون} [الأعراف: ٥٧]

١٤_ {هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نورا وقدره منازل} [يونس: ٥]

١٥_ {هو الذي يُسَيِّرُكم في البر والبحر} [يونس: ٢٢]

١٦_ {قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون } [يونس: ٣١]

١٧_ {هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون} [يونس: ٦٧]

١٨_ {وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يُغشي الليل والنهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون} [الرعد : ٣]

١٩_ {ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين (١٦) وحفظناها من كل شيطان رجيم (١٧) إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين (١٨) والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون (١٩) وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين (٢٠) وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم (٢١) وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين (٢٢) وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون (٢٣) } [الحجر]

٢٠_ وقال الله سبحانه في سورة النحل التي بعضهم يسميها سورة النعم لأن الله عزوجل بين فيها كثيرا من نعمه وفضله علينا: {والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون (٦) وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم (٧) والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون (٨)} [النحل]

٢١_ {هو الذي أنزل من السماء ماءً لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون (١٠)} أي: ترعون فيه مواشيكم { ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون (١١) وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون (١٢) وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون (١٣) وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (١٤) وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون (١٥) وعلامات وبالنجم هم يهتدون (١٦) أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون (١٧) وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم}

٢٢_{وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجئرون (٥٣)}

٢٣_ {والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون (٦٥) وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين (٦٦) ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا إن في ذلك لآية لقوم يعقلون (٦٧) وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون (٦٨) ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون (٦٩) والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئا إن الله عليم قدير (٧٠) والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون (٧١) والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون (٧٢)}

٢٤_ { والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون (٧٨) ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون (٧٩) والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين (٨٠) والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون (٨١) فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين (٨٢) يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون (٨٣)}

٢٥_ {فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيبا واشكروا نعمت الله إن كنتم إياه تعبدون} [النحل: ١١٤]

٢٦_ {ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيما (٦٦) وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا (٦٧)}

٢٧_ {ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا (٧٠)} [الإسراء]

٢٨_ {ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى} [طه: ٥٠]

٢٩_ {الذي جعل لكم الأرض مهداً وجعل لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماءً فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى } [طه: ٥٣]

٣٠_ {وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجاً سبلاً لعلهم يهتدون وجعلنا السماء سقفاً محفوظا وهم عن آياتها معرضون وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون} [الأنبياء٣٠_٣٣]

٣١_ {قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون} [الأنبياء: ٤٢]

٣٢_ { بل متعنا هؤلاء وآباؤهم حتى طال عليهم العمر } [الأنبياء: ٤٤]

٣٣_ {يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم..} [الحج: ٥]

٣٤_ { ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير (٦٣) له ما في السموات وإن الله لهو الغني الحميد (٦٤) ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرءوف رحيم (٦٥) وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إن الإنسان لكفور (٦٦) } [الحج]

٣٥_ {ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين (12) ثم جعلناه نطفة في قرار مكين (13) ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك اللّه أحسن الخالقين} [المؤمنون]

٣٦_ {ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين (١٧) وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون (١٨) فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون (١٩) وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين (٢٠) وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون (٢١) وعليها وعلى الفلك تحملون (٢٢) } [المؤمنون]

٣٧_ {وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون (٧٨) وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون (٧٩) وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون (٨٠)}

٣٨_ قال ربنا سبحانه بعد ذكر آيات اللعان في سورة النور :{ ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم (١٠)}

٣٩_ { ولولا فضل الله عليكم ورحمته لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم} [النور : ١٤]

٤٠_ { ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب رحيم} [النور : ٢٠]

جواب الآية محذوف، ومثله قول الرجل إذا شتمه إنسان: أيها الرجل لولا كذا أي: لولا كذا لشتمتك، فعلى هذا معنى قوله تعالى: { ولولا فضل الله عليكم ورحمته} لنال الكاذب منكما العذاب في الحال.

" تفسير السمعاني " (٥٠٦/٣)

٤١_ {ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار} [النور : ٤٣]

٤٢_ {ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً (٤٥) ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيرا (٤٦) وهو الذي جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتا وجعل النهار نشورا (٤٧) وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً (٤٨) لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسي كثيرا (٤٩)}

[الفرقان]

٤٣_ {وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما بزرخا وحجرا محجورا (٥٣) وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا(٥٤)} [الفرقان]

٤٤_ {تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا} [الفرقان: ٦١_٦٢]

٤٥_ { رب العالمين (٧٧) الذي خلقني فهو يهدين (٧٨) والذي هو يطعمني ويسقين (٧٩) وإذا مرضت فهو يشفين (٨٠) والذي يميتني ثم يحيين (٨١) والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين (٨٢)} [الشعراء]

٤٦_ { أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون (٦٠) أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون (٦١) أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون (٦٢) أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون (٦٣) أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ثم ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين (٦٤)} [النمل]

٤٧_ {ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون (٨٦)} [النمل]

٤٨_ {قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون (٧١) قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون (٧٢) ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون(٧٣)} [القصص]

٤٩_ {ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون} [العنكبوت:٦٣]

٥٠_ {فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون (١٨) يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون (١٩) ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون (٢٠) من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (٢١) ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين (٢٢) ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون (٢٣) ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماءً فيحي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون (٢٤) ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا انتم تخرجون (٢٥) وله من في السموات والأرض كل له قانتون (٢٦) وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم (٢٧) } [الروم]

٥١_ {الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون}

[الروم: ٤٠]

٥٢_ {ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون }

[الروم: ٤٦]

٥٣_ { الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون (٤٨) وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين (٤٩) فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير (٥٠) } [الروم]

٥٤_ {خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم (١٠) هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين (١١)} [لقمان]

٥٥_ {ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير(٢٠)} [لقمان]

٥٦_ {ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير (٢٩) ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير (٣٠) ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمت الله ليريكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور (٣١)} [لقمان]

٥٧_ {أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يُبصرون(٢٧)} [السجدة]

٥٨_ { يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون (٣) } [فاطر]

٥٩_ {والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور (٩)} [فاطر]

٦٠_ {والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير (١١) وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (١٢) يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير (١٣)} [فاطر]

٦١_ {ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود (٢٧)} [فاطر]

٦٢_ {وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون (٣٣) وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون (٣٤) ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون (٣٥) سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون (٣٦) وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون (٣٧) والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم (٣٨) والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم (٣٩)} [يس]

٦٣_ {وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون (٤١) وخلقنا لهم من مثله ما يركبون (٤٢) وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون (٤٣) إلا رحمة منا ومتاعا إلى حين (٤٤)} [يس]

٦٤_ {أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا فهم لها مالكون (٧١) وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون (٧٢) ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون (٧٣) } [يس]

٦٥_ {أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين (٧٧) وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم (٧٨) قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم (٧٩) الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون (٨٠) } [يس]

٦٦_ {خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار (٥) خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون (٦) } [الزمر]

٦٧_ {ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب (٢١)} [الزمر]

٦٨_ {هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر إلا من ينيب (١٣)} [غافر]

٦٩_ {هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلاً مسمى ولعلكم تعقلون} [غافر]

٧٠_ { الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون (٧٩) ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون (٨٠) ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون (٨١) } [غافر]

٧١_ {سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد (٥٣) } [غافر]

٧٢_ {فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} [الشورى: ١١]

٧٣_ {وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون} [الشورى: ٢٥]

٧٤_ {وهو الذي يُنزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد} [الشورى: ٢٧]

٧٥_ { العزيز العليم (٩) الذي جعل لكم لأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون (١٠) والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون (١١) والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون (١٢) لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين (١٣) وإنا إلى ربنا لمنقلبون} [الزخرف]

قال سعيد بن جبير :{لعلكم تهتدون} لعلكم تعرفون نعمة الله عليكم.
" تفسير القرطبي " (١٦/٦٤)

٧٦_ {الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (١٢) وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (١٣)} [الجاثية]

٧٧_ {ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين (١٥) أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون (١٦)} [الأحقاف]

الشاهد : أنه سبحانه تفضل علينا بأن أمر أولادنا بالإحسان إلينا بل وأثابهم على ذلك، والأمر بالإحسان إلى الوالدين فيه أدلة أخرى في النساء و الإسراء و العنكبوت ولقمان أما في السنة فكثير وإن شاء الله سنذكر بعض الأدلة عند الكلام على معرفة فضل الوالدين.

٧٨_ {أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج (٦) والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج (٧) تبصرة وذكرى لكل عبد منيب (٨) ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد (٩) والنخل باسقات لها طلع نضيد (١٠) رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج (١١)} [ق]

٧٩_ {وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى (٤٥) من نطفة إذا تمنى (٤٦) وأن عليه النشأة الأخرى (٤٧) وأنه هو أغنى وأقنى (٤٨)} [النجم]

٨٠_ {والأرض وضعها للأنام (١٠) فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام (١١) والحب ذو العصف والريحان (١٢) فبأي ءالآء ربكما تكذبان }؟! [الرحمن]

٨١_ {وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام (٢٤) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٢٥)} [الرحمن]

٨٢_ {أفرأيتم ما تمنون (٥٨) أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون (٥٩) نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين (٦٠) على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون (٦١) ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون (٦٢) أفرأيتم ما تحرثون (٦٣) أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون (٦٤) لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون (٦٥) إنا لمغرمون (٦٦) بل نحن محرومون (٦٧) أفرأيتم الماء الذي تشربون (٦٨) أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون (٦٩) لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون (٧٠) أفرأيتم النار التي تورون (٧١) أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشؤن (٧٢) نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين (٧٣) فسبح باسم ربك العظيم (٧٤)} [الواقعة]

٨٣_ {هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور} [الملك: ١٥]

٨٤_ {أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور (٢١) أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم (٢٢) قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون (٢٣) قل هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون (٢٤)} [الملك]

٨٥_ {قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين} [الملك]

٨٦_ {يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعلكم جنات ويجعلكم أنهاراً مالكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً والله أنبتكم من الأرض نباتاً ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً والله جعل لكم الأرض بساطاً لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً}
[نوح : ١١_٢٠]

٨٧_ {ذرني ومن خلقتُ وحيداً وجعلتُ له مالاً ممدوداً وبنين شهوداً}

[سورة المدثر]

٨٨_ {هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً} [الإنسان: ١_٣]

٨٩_ {ألم نخلقكم من ماءٍ مهين فجعلناه في قرار مكين إلى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون ويل يومئذ للمكذبين ألم نجعل الأرض كفاتاً أحياءً وأمواتاً وجعلنا فيها رواسي شامخاتٍ وأسقيناهم ماءً فراتاً ويل يومئذ للمكذبين} [المرسلات: ٢٠_٢٨]

٩٠_ {ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً وخلقناكم أزواجاً وجعلنا نومكم سباتاً وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشاً وبنينا فوقكم سبعاً شداداً وجعلنا سراجاً وهاجاً وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجاً لنخرج به حباً ونباتاً وجناتٍ ألفافاً} [النبأ: ٦_١٦]

٩١_ {أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحاها * أخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال أرساها * متاعاً لكم ولأنعامكم} [النازعات:٢٧ - ٣٢]

٩٢_ {قتل الإنسان ما أكفره} ؟! [عبس: ١٧]

٩٣_ {فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صباً ثم شققنا الأرض شقاً فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلاً وحدائق غلباً وفاكهة وأباً متاعاً لكم ولأنعامكم} [عبس: ٢٤_٣٢]. قضباً أي: قتّاً رطباً ليكون علفاً لدوابهم.{حدائق غلباً} أي: بساتين كثيرة الأشجار ، أباً : طعام البهائم
قال الطبري رحمه الله: {وفاكهة} ما يأكله الناس من ثمار الأشجار ، {وأباً}: ما تأكله البهائم من العشب والنبات. " تفسيره " (١١٩/٢٤)

٩٤_ {فلينظر الإنسان ممَ خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب} [الطارق: ٥_٧]

٩٥_ {وفي أنفسكم أفلا تبصرون} [الذاريات]

٩٦_ {سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى فجعله غثاءً أحوى} [الأعلى: ١_٥]

قوله:(فجعله غثاءً أحوى) أي: صير ذلك المرعى الأخضر إلى هشيم، مائل للسواد، يابس لكي يوقد به ويصنع به الطعام، والله أعلم

٩٧_ {ألم نجعل له عينين ولساناً وشفتين وهديناه النجدين} [البلد]

٩٨_ {إن علينا للهدى} نبين طريقه للعبد ، فمن ضل فبنفسه. [الليل]

٩٩_ {والتين والزيتون (١) وطور سينين (٢) وهذا البلد الأمين (٣) لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم} [التين]

١٠٠_ { اقرأ وربك الأكرم (٣) الذي علم بالقلم (٤) علم الإنسان ما لم يعلم (٥)} [العلق]

💢 تأمل هذا الكم الهائل من الآيات التي يبين الله سبحانه فيها فضله على العباد، ونعمه عليهم، وتذكيره لهم بها، وسبق أن ذكرت بأني لم أكن أظن أنها ستصل إلى هذا المقدار !

ولكن اتضح لي بيقين أن من أمعن النظر سيجد أكثر مما وجدتُ وحسبك أنك إذا قرأتَ القرآن بتدبر ستجد أن الآيات التي تبين هذا المعنى كثيرة جدا، والله أعلم.

ومع هذا كله تجد أن العباد في لؤم مع ربهم سبحانه، فضله إليهم نازلهم، وعصيانهم إليه صاعد؛ ولهذا عاتبهم على هذا اللؤم، ومقابلة النعم بالكفران

فقال جل وعلا:{ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا (٨٩)} [الإسراء]

وقال عز سلطانه: {إن الإنسان لكفور} [الحج: ٦٦]

وقال جل شأنه: {إن الإنسان لكفور مبين} [الزخرف: ١٥]

وقال تعالى: {قتل الإنسان ما أكفره} [عبس: ١٧]

وقال سبحانه:{يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك} [الانفطار : ٦]

وقال عزوجل:{كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى}

[العلق: ٦_ ٧]

ولا حول ولا قوة إلا بالله، وحسبنا الله ونعم الوكيل ،

والله المستعان

💢 قاعدة عامة :

(كل آية فيها الأمر بالتقوى أو بالعبادة أو بترك منهي عنه فهي أمر بمعرفة الفضل لأهله) والله أعلم، وأنتَ تأمل

لأن علامة معرفتك بفضل الله سبحانه عليك أنك تعبده وحده، لا شريك له بفعل أمره واجتناب نهيه مخلصاً له وهذا هو التقوى

ومما يدخل في هذا ما جاء في الصحيح عن البراء رضي الله عنه ، قال : رأيت رسول الله ﷺ يوم الأحزاب ينقل التراب، وقد وارى التراب بياض بطنه وهو يقول : « ا للهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا فأنزل السكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا إن الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا ».

وفي مسلم أن عامر ابن الأكوع كان يرتجز بنحوها في خيبر فقال النبي ﷺ: «من هذا الحادي؟» قالوا: ابن الأكوع. فقال:« يرحمه الله »

فصل في تفضله سبحانه على الرسل صلوات الله، وسلامه عليهم

الله سبحانه هو الذي تفضل على الرسل بالرسالة، وأكرمهم بالنبوة، وبالفضائل الكثيرة، وليس ذلك عبارة عن خبرات اكتسبوها أو كهانات ادعوها كما زعم بعض الضلال

{هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله} [الفتح: ٢٨] ، [الصف: ٩]

{ألم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فأغنى} [الضحى: ٦_٨]

{ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك} [الإنشراح: ١_٤]

{ ونيسرك لليسرى } [الأعلى: ٨]

{ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك} {ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً} [الإسراء: ٧٤]

{هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين} [الأنفال: ٦٢]

{كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا} [طه: ٩٩]

{إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً وينصرك الله نصراً عزيزاً} [الفتح: ١_٣]

{أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم مُلكا عظيما (٥٤)} [النساء]

{وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم (٨٣) ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين (٨٤)} الآيات [الأنعام]

{ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين} [يوسف:٢٢]

{إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفاً ولم يك من المشركين (١٢٠) شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم (١٢١) وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين (١٢٢) } [النحل]

{ ولقد آتينا موسى وهارون الكتاب والفرقان وضياءً وذكرى للمتقين } [الأنبياء: ٤٨]

{ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين} [الأنبياء: ٥١]

{قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم} [الأنبياء: ٦٩]

{ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم (٧٦) ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين (٧٨) ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين (٧٩) وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون (٨٠) ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين (٨١) ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين (٨٢)

وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين (٨٣) فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين (٨٤) وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين (٨٥) وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين (٨٦) وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين (٨٧) فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين (٨٨) وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين (٨٩) فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين (٩٠)} [الأنبياء]

{ قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا } [مريم: ٣١]

واقرأ قصة موسى عليه السلام من حين ولادته كيف تفضل الله عليه بالحفظ، والرعاية، والكلاءة، والاصطفاء ، والتأييد ، والإيواء، والنصرة، والرزق،...

{ إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي } [الأعراف: ١٤٤]

{ وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى } [طه: ١٣]،{ولقد مننا عليك مرة أخرى (٣٧) إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى (٣٨) أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني (٣٩) إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى (٤٠) واصطنعتك لنفسي} [طه]

} وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم
ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين (٧)
فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان
وجنودهما كانوا خاطئين (٨) وقالت امرأت فرعون قرت عين لي ولك
لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون (٩) وأصبح
فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون
من المؤمنين (١٠) وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا
يشعرون (١١) وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل
بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون (١٢) فرددناه إلى أمه كي تقر عينها
ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون (١٣) ولما
بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين (١٤)
ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان
هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي
من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه
عدو مضل مبين (١٥) قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه
هو الغفور الرحيم (١٦) قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا
للمجرمين (١٧) فأصبح في المدينة خائفا يترقب فإذا الذي استنصره
بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوي مبين (١٨) فلما أن أراد أن
يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت
نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون
من المصلحين (١٩) وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى
إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين (٢٠) فخرج
منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين (٢١) ولما توجه
تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل (٢٢) ولما ورد ماء
مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين

تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير (٢٣) فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير (٢٤) فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين (٢٥) قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين (٢٦) قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين (٢٧) قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل (٢٨) فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون (٢٩) فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين (٣٠) وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين (٣١) اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملائه إنهم كانوا قوما فاسقين (٣٢) قال رب إني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون (٣٣) وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني إني أخاف أن يكذبون (٣٤) قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون (٣٥) فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين (٣٦) } [القصص]

وموسى عليه السلام أكثر الأنبياء الذين ذكرا في القرآن تفصيلا ، والله أعلم.

{ولقد آتينا داوود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد}
[سبأ: ١٠]

قال سليمان عليه السلام لرسل ملكة سبأ: {فما آتانيَ اللّه خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون} [النمل: ٣٦]

وتفضل اللّه على أنبيائه ورسله بالمعجزات والفضائل التي يطول وصفه هنا، ولكن دونك الكتاب والسنة، ودونك أيضا الكتب السلفية، المؤلفة في فضائل الأنبياء عموماً وخصوصا، فكل تلك الفضائل، وكل تلك المعجزات من فضل ربنا سبحانه عليهم

فصل في تفضله سبحانه على العباد بإقامة الحُجج، ورفع الحرج

تفضل الله على العباد بإقامة الحجج، وتيسيرها، وإرسال الإنذارات، ورفع الحرج، وقبول العذر .

قال الله تعالى:{ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكراً عليما} [النساء: ١٤٧]

وقال سبحانه:{وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون} [الأنفال: ٣٣]

وقال جل ذكره:{هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً ويُنشئ السحاب الثقال} [الرعد: ١٢]

{ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين} [النحل: ٣٦]

{وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً} [الإسراء : ١٥] ،

{وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً} [الإسراء:٥٩] ،

{الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان} [الرحمن: ١_٢]

{ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر} [القمر : ١٧]

فهو سبحانه قادرٌ على إهلاك المكذبين والمخالفين بمجرد حصول المخالفة منهم، ولكنه يمهلهم، ويؤخرهم، ويرسل لهم النذارات، ويرسل لهم الدعاة، والناصحين، وهذا كله من رحمته ومن تفضله على العباد ولكن أكثر الناس لا يعقلون!

{ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج}
[النور : ٦١] ، [الفتح : ١٧]

كتب علينا صيام شهر رمضان فقال تعالى:{كتب عليكم الصيام} لكنه قال:{فمن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر}

روى البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: كانت بي بواسير فسألتُ النبي ﷺ عن الصلاة فقال : «صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنب»

روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»

وفي الصحيحين عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:«ليس أحد أحب إليه العذر من الله ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين»

{ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين} [الأنبياء : ٤٧]

هذا تفضل منه سبحانه بأن لا يُجازي عباده مباشرة بل يضع الموازين القسط ليجعلهم يبصرون وزن أعمالهم بأعينهم { فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون } [المؤمنون: ١٠٢_ ١٠٣]

فصل في تفضله سبحانه على من آمن به تعالى

وتفضل على أهل الإيمان بالفضائل الكثيرة :-

١_ بإرسال الرسل إليهم، يخرجونهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم سبحانه.

تفضل الله عزوجل علينا بإرسال خير الرسل إلينا عليه أفضل الصلاة والسلام

قال سبحانه:{لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين} [التوبة: ١٦٤]

{هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين (٢) وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم (٣)} ثم قال الله سبحانه:{ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم } [الجمعة]

٢_ تفضل علينا بأن أنزل إلينا خير الكتب السماوية، بل المهيمن عليها، الناسخ لما تقدمته من الشرائع، فلا دين بعد نزوله إلا ما تضمنه هو ، وما لم يتضمنه فليس بدين، مقبول.

{وأنزلنا عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه} [المائدة]

{وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً} [الأنعام: ١١٤] ، { وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون } [النحل: ٤٤]

٣_ بالهداية، والتوفيق للإيمان، وتحبيبه إليهم

{ ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم لراشدون (٧) فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم (٨) } [الحجرات]

{قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان} [الحُجرات:١٧]

{ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم} [النور :٢١]

{أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس} [الأنعام: ١٢٢]

٤_ بمغفرة ذنوب التائبين، ورحمتهم

{ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم} [التوبة: ١٠٤]

{وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى} [طه: ٨٢]

{وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون} [الشورى: ٢٥]

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم (٢٨) لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (٢٩)} [الحديد]

٥_ بزيادتهم هدى، وفضلا منه تعالى

{ويزيد الله الذين اهتدوا هدى} [مريم: ٧٦]

{فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله} [النساء: ١٧٣]

٦_ بجعل الملائكة يستغفرون لهم، ويدعون لهم

{هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما} [الأحزاب: ٤٣]

{الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم} [غافر: ٧_ ٩]

في الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:« الملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه يقولون: ا للهم اغفر له، ا للهم ارحمه، ا للهم تب عليه ما يؤذ فيه مالم يُحدث فيه » .

٧_ ينزل السكينة عليهم

{هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين} [الفتح: ٤]
{فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً} [الفتح: ١٨]

في الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنهما : قرأ رجل الكهف وفي الدار الدابة، فجعلت تنفر ، فسلم فإذا ضبابة أو سحابة غشيته، فذكره للنبي ﷺ، فقال : « اقرأ فلان ؛ فإنها السكينة نزلت للقرآن، أو تنزلت للقرآن ». وفي رواية:«تنزلت بالقرآن»

وروى مسلم عن أبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري ، عن النبي ﷺ ، قال : « لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده » .

٨_ برفعتهم، وإعزازهم بالدين الحق

{لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون} [الأنبياء: ١٠]
ومعنى قوله:{فيه ذكركم}: فيه شرفكم، وعزكم، ورفعتكم إن عملتم به.
روى ابن أبي شيبة في " مصنفه " (١٠/٧) عن طارق بن شهاب، قال: لما قدم عمر الشام أتته الجنود وعليه إزار وخفان وعمامة وأخذ برأس بعيره يخوض الماء، فقالوا له: يا أمير المؤمنين، تلقاك الجنود وبطارقة الشام وأنت على هذا الحال، قال: فقال عمر : إنا قوم أعزنا الله بالإسلام , فلن نلتمس العز بغيره.

وفي " المستدرك " للحاكم (١٣٠/١) عن طارق بن شهاب، قال: خرج عمر ابن الخطاب إلى الشام ومعنا أبو عبيدة بن الجراح فأتوا على مخاضة وعمر على ناقة له فنزل عنها وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة، فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا، تخلع خفيك وتضعهما على عاتقك، وتأخذ بزمام ناقتك،

وتخوض بها المخاضة؟ ما يسرني أن أهل البلد استشرفوك، فقال عمر : أوه لم يقل ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالا لأمة محمد صلى الله عليه وسلم إنا كنا أذل قوم، فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله.

وفي حديث الإفك في رواية الطبراني (١٢٥/٢٣) : قالت عائشة رضي الله عنها: فقلت للنبي ﷺ: يا رسول الله أتأذن لي أن أذهب إلى أهلي؟، قال: «اذهبي» ، فخرجت عائشة حتى أتت أباها أبا بكر، قال لها أبو بكر: ما لك؟، قالت: أخرجني رسول الله ﷺ من بيته، قال لها أبو بكر: فأخرجك رسول الله ﷺ فآويك أنا والله لا آويك حتى يأمر رسول الله ﷺ، فأمره رسول الله ﷺ أن يؤويها، فقال لها أبو بكر : والله ما قيل لنا هذا في الجاهلية قط، فكيف وقد أعزنا الله بالإسلام؟، فبكت عائشة وأمها أم رومان وأبو بكر وعبد الرحمن، وبكى معهم أهل الدار، وبلغ ذاك النبي ﷺ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، فقال: «أيها الناس من يعذرني ممن يؤذيني؟» الحديث.

٨_ بالتمكين لهم في أرضه، بعد محن، وابتلاءات

{وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون (٥٥)} [النور]

{ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون} [الأنبياء]

{يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم} [الأحزاب]

{وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا (٢٦) وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديرا(٢٧)} [الأحزاب]

٩_ تفضل ربنا سبحانه على المؤمنين بالنفحات الربانية، والمواسم الخيرية، التي فيها تكفير للسيئات، وازدياد للحسنات.

فجعل محرم موسما لأفضل مستحب الصيام، وفي عاشره عاشوراء، صيامه مكفر لذنوب سنة ماضية.

وجعل شعبان موسما عظيما لمستحب الصيام؛ ولهذا كان النبي ﷺ يصوم أغلبه، وربما صامه كله.

وجعل رمضان موسم لفرض الصيام، وآكد مستحب القيام، وفرصة للصدقة وتطهير الآثام، ومنحة للإكثار من تلاوة القرآن.

وجعل فيه ليلة واحدة، تكمن في آخر عشر منه، قيامها مكفر للآثام، وزنها خير من ألف شهر .

وجعل صيام ست شوال عقب صيام رمضان كصيام الدهر ، باعتبار أن الحسنة بعشر أمثالها، فرمضان بعشرة أشهر ، وستة أيام بشهرين.

وجعل ذا القعدة، وذا الحجة مع محرم ورجب، أعظم الأشهر حرمة، يجتنب فيها الظلم والآثام.

وجعل شوال وذا القعدة وذا الحجة أشهرا لإقامة فريضة الحج، وجعل في عشر ذي الحجة الأولى كنوز الخيرات، وعظيم البركات في الطاعات، فشرع فيها الإكثار التكبير والتهليل والتحميد، والصدقة، والصيام، وسائر الأعمال، فالعمل فيها خير من العمل في غيرها.

هذه نفحات مخصوصة في بعض الشهور ، وهناك نفحات تشترك فيها سائر الشهور منها: صيام الأيام البيض، وهي: الثالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر من كل شهر . صيامها كصيام الدهر ؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها.

وصيام الاثنين والخميس، يومان ترفع فيهما الأعمال، وهنيئا لمن رفع عمله وهو صائم.

و«الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر» رواه مسلم عن أبي هريرة.

وجعل مجرد اجتناب الكبائر سبب لتكفير الصغائر {إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما} [النساء:٣١]

وصلاة الضحى وقت اشداد الحراة صدقة عن ثلاثمائة وستين مفصلا، وتجعل العبد من الأوابين

روى مسلم عن أبي ذر ، عن النبي ﷺ، أنه قال : « يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة ؛ فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى » .

وفي مسلم عن زيد بن أرقم أن النبي ﷺ قال : « صلاة الأوابين حين ترمض الفصال » .

وإطعام الطعام، وصلة الأرحام، وصلاة الرجل في جوف الليل والناس نيام سبب لدخوله الجنة بسلام

ودعوة الوالدين مجابة فيك فهذه ونحوها فرص ربانية، ومنح إلهية، تفضل بها الرب سبحانه على عباده المؤمنين.

١٠_ جعل الحسنة بعشر أمثالها، بينما السيئة بمثلها فقط.

{من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون} [الأنعام: ١٦٠]

روى الإمام مسلم عن أبي ذر جندب بن جنادة الغفاري رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله عز وجل : من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر ، ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا، ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا، لقيته بمثلها مغفرة » .

في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه عز وجل قال : قال : « إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة » .

روى البخاري عن سعيد الخدري أخبره : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا أسلم العبد فحسن إسلامه، يكفر الله عنه كل سيئة كان زلفها ، وكان بعد ذلك القصاص : الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله عنها » .

وروى مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها » .

وفي مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف»

وروى الترمذي عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « قال الله عز وجل وقوله الحق : إذا هم عبدي بحسنة فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها، وإذا هم بسيئة فلا تكتبوها، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، فإن تركها - وربما قال : فإن لم يعمل بها - فاكتبوها له حسنة » . ثم قرأ : { من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها }.

تنبيه: إنما تكتب السيئة حسنة إذا تركها مخافة ربه، أما إذا تركها لعدم تمكنها من فعلها لخوفه من الناس مثلا فهذا تكتب عليه سيئة؛ لعزمه على فعلها، ويدل على هذا ما في مسلم عن أبي هريرة « إنما تركها من جراي»

١١_ تفضل الله عزوجل على عباده المؤمنين بعد موتهم بإنزال الملائكة عليهم تطمئنهم أن لا خوف عليكم مما ستقدمون عليه، ولا أنتم تحزنون على ما خلفتم وراءكم من متاع هذه الدنيا

{إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون (٣٠) نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون (٣١) نزلا من غفور رحيم (٣٢)} [فصلت]

{إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (١٣) أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون (١٤)}

[الأحقاف]

١٢_ تفضل عليهم بالثبات في فتنة القبر ثم بالنعيم فيه

{يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء (٢٧)} [إبراهيم]

روى الإمام أحمد عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه،... فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله. فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : ديني الإسلام. فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله صلى الله عليه وسلم. فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله، فآمنت به وصدقت. فينادي مناد في السماء أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره » .

١٣_ ثم الأمن يوم الفزع الأكبر .

{إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون (١٠١) لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون (١٠٢) لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون} [الأنبياء]

{من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون} [النمل:٨٩]

١٤_ ثم بالظل حين دنو الشمس من الخلق في الموقف .

روى الإمام مسلم عن المقداد بن الأسود ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق، حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في

العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاما » .
قال : وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله ؛ اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله، ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » .

١٥_ ثم بالشرب من حوض النبي محمد ﷺ الكوثر الذي من شرب منه لم يظمأ بعده أبدا.

في الصحيحين عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أنا فرطكم على الحوض، من ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبدا، ليرد علي أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم»

وفي رواية: « إني فرطكم على الحوض، من مر علي شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدا، ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم » .

وأحاديث الحوض كثيرة عن جندب، وابن مسعود، وأبي سعيد، وعقبة، وجابر ، وغيرهم، وهو متواتر وقد قيل:

مما تواتر حديث «مَن كذّب» ... و«مَن بنى لله بيتا» واحتسَب
ورؤية شفاعة والحوضُ ... ومسحُ خفين، وهذي بعضُ

فإن قلتَ: كيف تزعم أنهم لا يظمؤون مع أن الله تعالى يقول عن الجنة:{فيها أنهار من ماء غير آسن} أي: غير منقطع {وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى} ؟

الجواب: لا تعارض أصلا، فمن شرب من الحوض لم يظمأ، لكنه قد يشرب بعد ذلك تلذذا لا ظمأ.

١٥_ ثم بالجنة، وفيها من النعيم ما يطول وصفه، وقد صنف فيه، ويكفي هنا قوله عزوجل { فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون } [الزخرف : ٧١]

وقوله تعالى:{ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله} [الأعراف: ٤٣]

وقوله سبحانه:{ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواننا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين} [الحجر : ٤٧_٤٨]

وقوله جل وعلا في الحديث القدسي: « أعددت لعبادي الصالحين في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقوله ﷺ: « من دخل الجنة ينعم لا يبأس، لا يفنى شبابه، ولا تبلى ثيابه ».

١٦_ ثم أعظم نعيم يجدونه هو رؤية الله تبارك وتعالى، ورضوانه عليهم.

روى مسلم عن صهيب ، عن النبي ﷺ قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة - قال - يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار ؟ » . قال : « فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل » ثم تلا هذه الآية : { للذين أحسنوا الحسنى وزيادة }.

فالحُسنى هي الجنة، والزيادة هي النظر إلى وجه الحق تبارك وتعالى.

قال تعالى:{وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم} [التوبة: ٧٢]

💢 ففضل الله تعالى على عباده المؤمنين عظيم جدا، لا يقدر قدره إلا الله تعالى، لا نحصي ثناء عليه سبحانه.

روى البخاري عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من طعامه - أو قال: إذا رفع مائدته - قال : « الحمد لله الذي كفانا وأروانا غير مكفي ولا مكفور ». وفي لفظ:«الحمد لله ربنا غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى ربنا»

قال ابن القيم: سألت شيخنا (يعني ابن شيخ الإسلام ابن تيمية) عن قوله:«غير مكفي» فقال: المخلوق إذا أنعم عليك بنعمة أمكنك أن تكافيه بالجزاء أو بالثناء والله عز وجل لا يمكن أحدا من العباد أن يكافيه على إنعامه أبدا. " صيغ الحمد " (٢٦/١)

💢 ومن الذي يلتفت منا إلى هذا الفضائل، فيعرف فضل ربه عليه؟!

إنما الحال عند أكثر الناس كما قال الله سبحانه:{وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون (١٢)} [يونس:١٢]

{ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤس كفور ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرحٌ فخور إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير } [هود : ٩_١١]

{ وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر كان يؤسا (٨٣) } [الإسراء:٨٣]

{وإذا مس الإنسان ضرٌ دعا ربه منيباً إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار} [الزمر : ٨]

{فإذا مس الإنسان ضرٌ دعانا ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون} [الزمر : ٤٩]

{فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن} [الفجر :١٥_١٦]

{وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إن الإنسان لكفور} [الحج: ٦٦]

{إن الإنسان لربه لكنودة} [العاديات: ٦] ، قال الحسن في معنى الكنود : يعد المصائب وينسى النعم. {قتل الإنسان ما أكفره} [عبس: ١٧]

{ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد} [لقمان: ١٢]

💢 ولكن يجب أن تعلم أن المؤمنين ليسوا كلهم في ذلك على درجة واحدة، بحيث ينالوا ذلك كله، بل منهم من يعذب في قبره، ومنهم من لا يُجعل ممن يستظلون بذلك الظل يوم يقوم الناس لرب العالمين، ومنهم من يُحرم من الشرب من الكوثر ، ومنهم من يسقط من الصراط إلى النار ! فيعذب بقدر ذنوبه ثم يدخل الجنة؛ لأنه مؤمن، ومعلوم أن المؤمن لا يخلد في النار .

وهذا كله عليه أدلته من الكتابة والسنة، ولست بصدد سردها هنا، وهذا كله لأن أعمالهم في الدنيا كانت مختلفة ما بين ظالم لنفسه بالمعاصي، وآخر مقتصد ، وآخر مشمر في الطاعة فلا يستوون في النعيم؛ لأنهم لم يستووا في الأعمال في الدنيا {ولا يظلم ربك أحدا} [الكهف: ٤٩]

فصل: تذكير الأنبياء أقوامهم بفضل الله عليهم

لقد ذكر الأنبياء أقوامهم بفضل الله عليهم

قال هود عليه السلام:{واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون (١٣٢) أمدكم بأنعام وبنين (١٣٣) وجنات وعيون (١٣٤)} [الشعراء]

قال صالح عليه السلام:{أتتركون في ما هاهنا آمنين (١٤٦) في جنات وعيون (١٤٧)} [الشعراء]

قال لوط عليه السلام:{أتأتون الذكران من العالمين (١٦٥) وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون (١٦٦)} [الشعراء]

قال شعيب عليه السلام:{واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين (١٤٨)} [الشعراء]

{وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم} [إبراهيم: ٦]

{وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين} [المائدة: ٢٠]

والمقصود بالعالمين أي: في زمانهم وعصرهم ، كانوا هم المفضلين على سائر الناس، وأما من سائر الأمم فلا شك أن أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هي خير الأمم بنص الآية {كنتم خير أمة أخرجت للناس} [آل عمران: ١١٠]

فصل: في الاعتبار بعاقبة من لم يعرف فضل ربه عليه

إن الفطن اللبيب هو الذي يجعل من تجارب من سبقه عبرة له وعظة في الخير والشر

فقد خلق الله أمما كثيرة قبلنا كانوا أكثر منا عددا، وأشد قوة وآثارا في الأرض، وأنعم الله عليهم بالنعم الكثيرة

وسبق أن قلنا إن أنبياءهم قد ذكروهم بنعم الله عليهم، ولكن كثيرا منهم لم يلتفت إلى هذا الأمر ، ولم يبال به، بل تنكر لخالقه، وعصى رسوله وكذبه فجاءتهم عقوبات دنيوية وتوعدهم الله بالعقوبات الأخروية {ولعذاب الآخرة أشد وأبقى} [طه: ١٢٧] ،

ولنا في ذلك عبرة وعظة؛ ولذلك ذكر الله قصص بعض أولئك في كتاب الحكيم

* فلنا عبرة في (قوم سبأ) {لقد كان لسبإ في مساكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور (١٥) فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل (١٦) ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور (١٧) وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين (١٨) فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور (١٩) ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين (٢٠)} [سبأ]

* ولنا عبرة في (قومي عاد وثمود) { فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون (١٥) فأرسلنا عليهم ريحا صرصر ا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون (١٦) وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون (١٧) ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون (١٨) } [فصلت]

* لنا عبرة في (قريش) {وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان، فكفرت بأنعم الله، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون} [النحل: ١١٢]

* لنا عبرة في (قوم لوط) {فلما جاء آل لوط المرسلون (٦١) قال إنكم قوم منكرون (٦٢) قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون (٦٣) وأتيناك بالحق وإنا لصادقون (٦٤) فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون (٦٥) وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين (٦٦) وجاء أهل المدينة يستبشرون (٦٧) قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون (٦٨) واتقوا الله ولا تخزون (٦٩) قالوا أولم ننهك عن العالمين (٧٠) قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين (٧١) لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون (٧٢) فأخذتهم الصيحة مشرقين (٧٣) فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل (٧٤) إن في ذلك لآيات للمتوسمين (٧٥) وإنها لبسبيل مقيم (٧٦) إن في ذلك لآية للمؤمنين (٧٧)} [الحجر]

{ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا} [يونس:١٣] ، {وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا} [الكهف:٥٩] لم يعرفوا فضل ربهم سبحانه فأهلكهم.

* لنا عبرة في (قارون) {إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة، إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين (٧٦) وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين (٧٧) قال إنما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون (٧٨) فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم (٧٩) وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون (٨٠) فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين (٨١) وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون (٨٢) تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين (٨٣)} [القصص]

{كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين} [الدخان: ٢٥_٢٨]

ذكرت هذا على سبيل الإشارة، وإلا فالآيات في ذلك كثيرة، وتجد القصة الواحدة ربما تذكر في عدة سور ، لما في الاعتبار بها من أهمية.

{فاعتبروا يا أولي الأبصار} [الحشر : ٢]

الباب الثاني: في معرفة فضل رسول الله ﷺ

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم له فضل كبير علينا؛ فقد بلغ رسالة ربنا سبحانه كما أمره ، وأدى الأمانة، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده، وأوذي في سبيل الله تعالى أشد الأذية، سبوه، وشتموه، ورجموه بالحجارة حتى أدموه، وقتلوا أصحابه، وعذبوهم، واستهزءوا به، ووضعوا عليه سلا الجزور ،وقالوا: ساحر ، مسحور ، كاهن ، مجنون وأرادوا التشويه بسمعته، وتلفيق الأكاذيب عليه، بل حاولوا قتله ، طورد ففر من بلده، فوصل المدينة، واتهموه في عرضه الطاهر ، وتحزبت الأحزاب عليه، وحاولوا اغتياله {والله يعصمك من الناس}

وسَرْدُ الأحاديث والآثار في ذلك يطول ولا يسعه هذا المحل ولكن دونك كتب السيرة، والأمهات الست والمسانيد فهي مليئة بالأخبار عن ذلك

المقصود أنه صلى الله عليه وسلم صبر وتحمل، وصابر ، وثابر ، ولاقى في حياته الشدائد العظام في سبيل تبليغ هذا الدين الإسلامي حتى وصل إلينا غضاً طرياً كما أنزل، فله علينا الحق العظيم.

* كم من الأحاديث نجد فيها شفقته صلى الله عليه وسلم بنا وهو يتحرج من أن يشق علينا

في الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:«ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية، ولكن لا أجد حمولة ، ولا أجد ما أحملهم عليه، ويشق علي أن يتخلفوا عني ».

وروى البخاري عن ابن عباس قال : أعتم رسول الله ﷺ ليلة بالعشاء حتى رقد الناس واستيقظوا، ورقدوا واستيقظوا، فقام عمر بن الخطاب، فقال : الصلاة. قال عطاء : قال ابن عباس : فخرج نبي الله ﷺ كأني أنظر إليه الآن يقطر رأسه ماء، واضعا يده على رأسه، فقال : « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم أن يصلوها هكذا »

وروى مسلم عن عائشة قالت : أعتم النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة حتى ذهب عامة الليل، وحتى نام أهل المسجد، ثم خرج فصلى، فقال : « إنه لوقتها لولا أن أشق على أمتي » .

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لولا أن أشق على أمتي أو على الناس لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة » .

وفي رواية في البخاري:«عند كل وضوء»

* فرضت الصلوات خمسين صلاة، فما زال يراجع ربه سبحانه حتى صرن خمس صلوات، فقال سبحانه:«أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي» كما في البخاري من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه.

فصارت الصلوات خمس في الصورة، وخمسون في الأجر ؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها،{من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها} [الأنعام:١٦٠]

* ولما فرض الله تعالى الحج علينا خطب فقال: «أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج فحجوا » . فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو قلت نعم ؛ لوجبت، ولما استطعتم، ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء، فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء ؛ فدعوه» م. أبو هريرة.

وروى الترمذي عن أبي البختري ، عن علي بن أبي طالب ، قال : لما نزلت { ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا } قالوا : يا رسول الله ، أفي كل عام ؟ فسكت ، فقالوا : يا رسول الله ، أفي كل عام ؟ قال : « لا، ولو قلت : نعم لوجبت » . فأنزل الله : { يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم } . وهذا ضعيف؛ لأن أبا البختري لم يدرك علي رضي الله عنه. قال الترمذي: وفي الباب عن ابن عباس، وأبي هريرة.

وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص : أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في إبراهيم : { رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني }. الآية. وقال عيسى عليه السلام : { إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم }، فرفع يديه، وقال : « ا للهم أمتي أمتي » . وبكى

فقال الله عز وجل : يا جبريل، اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله ما يبكيك ؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام، فسأله، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال، وهو أعلم، فقال الله : يا جبريل، اذهب إلى محمد، فقل : إنا سنرضيك في أمتك، ولا نسوءك ».

وفي حديث الشفاعة في الصحيحين عن أبي هريرة وأنس أن النبي ﷺ قال :«فأنطلق، فآتي تحت العرش، فأقع ساجدا لربي عز وجل، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال : يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفع. فأرفع رأسي، فأقول : أمتي يا رب، أمتي يا رب. فيقال : يا محمد، أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة. وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب».

فهو رحمة بالعالمين كما وصفه ربه، وبأهل الإيمان رؤوف رحيم

{وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} [الأنبياء:١٠٧]

{لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم} [التوبة:١٢٨]

فله ﷺ علينا فضل كبير بعد الله تعالى ، ومعرفة فضله يكون بمحبته أعظم من محبة المال، والولد، بل والنفس، وبتصديقه فيما أخبر ، وباتباعه، فيما أمر ، والالتزام بسنته، والاهتداء بهديه، وتحكيم كتاب الله تعالى وسنته، والحذر من معصيته.

روى البخاري عن عبد الله بن هشام ، قال : كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر : يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي. فقال النبي ﷺ : « لا، والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك » . فقال له عمر : فإنه الآن، والله لأنت أحب إلي من نفسي. فقال النبي ﷺ : « الآن يا عمر » .

قال تعالى: {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (٦٥)} [النساء]

وقال سبحانه:{فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم} [النور]

{وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا (٣٦)}

[الأحزاب] ،

{يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم (١)} [الحُجرات]

* ويكون معرفة فضله أيضا بالإكثار من الصلاة والسلام عليه ، وقد أمرنا ربنا بذلك فقال:{إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (٥٦)} [الأحزاب]

ولهذا روى أحمد عن الحسين رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:«البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي » .

قال أحمد أو أحد الرواة عقب الحديث: صلى الله عليه وسلم كثيرا.

كيف لا يكون بخيلا من لم يصل على النبي ﷺ إذا سمع اسمه وهو قد قصر في شكر المحسن على إحسانه.

* ومن معرفة فضله العمل بما أوصى به وأن لا يُحتقر من ذلك شيء فيقال: هذا مجرد مستحب، أو يظن أنه غير صالح لزماننا هذا.
كالسواك والاضطجاع بعد ركعتي سنة الفجر ولبس القميص، والأزر ، وغير ذلك.

ومن معرفة فضله محبته كما سبق، ومن محبته محبة أزواجه واعتبارهن أمهات لقول الله سبحانه:{ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم} [الأحزاب: ٦]

وهكذا محبة أصحابة وعدم تنقصهم أو الطعن فيهم؛ فإن الذي يتنقصهم، ويقع في أعراضهم لم يعرف لرسول الله صلى الله عليه وسلم فضله، فضلاً عن الذي يكفرهم!

ولهذا اشتد غضبه على من سب بعض أصحابه، وكأنه أوحي إليه أنه سيأتي من يسبهم، ويقع فيهم حتى قال:«لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا، ما بلغ مد أحدهم، ولا نصيفه» متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

وقال مرة عن أبي بكر رضي الله عنه:«إن الله بعثني إليكم ؛ فقلتم : كذبت، وقال أبو بكر : صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي ؟ » مرتين، فما أوذي بعدها. رواه البخاري عن أبي الدرداء.

وحسبك فيما شجر بينهم من خلافات، واقتتال قول ربك سبحانه: {تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون} [البقرة: ١٣٤_١٤١]

مع قوله جل وعلا:{رضي الله عنهم ورضوا عنه} [التوبة: ١٠٠]

ولكون معرفة فضل النبي ﷺ من المهمات كان النبي ﷺ يُبين للصحابة فضله عليهم ففي الصحيحين عن عبد الله بن زيد بن عاصم رضي الله عنه، قال : لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم، ولم يعط الأنصار شيئا، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم، فقال : « يا معشر الأنصار ، ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي ؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ؟ وعالة فأغناكم الله بي ؟ » كلما قال شيئا قالوا : الله ورسوله أمن. قال : « ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ » قال : كلما قال شيئا قالوا : الله ورسوله أمن. قال : « لو شئتم قلتم : جئتنا كذا وكذا، أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى رحالكم ؟ لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شعار ، والناس دثار ، إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض » .

باب: في معرفة فضل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم

المراد بالصحابة أصحاب نبينا محمد ﷺ ، الذين عاصروه، ورأوه، وآمنوا به، وصدقوا ما جاء به، وماتوا على ذلك.

وهم أفضل الخلق بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، حتى إنهم مفضلون على أصحاب الأنبياء السابقين، لما خلفوا من الأثر العظيم، في سبيل الله تعالى.

هؤلاء الرجال لهم علينا فضل كبير

فهم الذين صحبوا نبينا ﷺ ونصروه، ومنعوه، مما يمنعوا منه أنفسهم وعزروه، ووقروه، وتأدبوا معه، وبهم قامت المعارك ضد الكفار ، فلم يكن رسول الله ﷺ يقاتل الكفار بمفرده، بل هؤلاء هم جنده، وهم جند الله المفلحون، يقول أحدهم: اخفض رأسك يا رسول الله، لا يصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك.

لقد أحبوه أعظم من محبتهم للمال، والزوجة، والولد ، والنفس. ولموت أحدهم أهون عنده من شوكة تصيبُ النبي ﷺ ؛ ولهذا لما مات كادوا أن يجنوا من هول المصيبة، حتى ذهبت عقول الأشداء منهم، حتى أنكر بعضهم موته بالكلية ، يقف الفاروق عمر كما في صحيح البخاري فيقول : والله ما مات رسول الله ﷺ، قالت عائشة : وقال عمر : والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك ، وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم، فجاء أبو بكر ، فكشف عن رسول الله ﷺ، فقبله، قال : بأبي أنت وأمي، طبت حيا وميتا والذي نفسي بيده ؛ لا يذيقك الله الموتتين أبدا، ثم خرج، فقال : أيها الحالف ؛ على رسلك ،

فلما تكلم أبو بكر جلس عمر ، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه، وقال : ألا من كان يعبد محمدا ﷺ فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وقال : { إنك ميت وإنهم ميتون } ، وقال : { وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين }. قال : فنشج الناس يبكون.

💢 كانوا خير صحب لخير رسول ﷺ ، رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وكلهم قد قضى نحبه.

ولهم فضل علينا في حرصهم على حفظ العلم وتبليغه حتى وصل إلينا، وكم نستفيد من علومهم وفهومهم.

فالواجب علينا تجاههم أن لا نذكرهم إلا بالجميل، وأن نترضى عنهم لأن الله سبحانه قد رضي عنهم.

ونحن نعلم أنهم بشر ليسوا بمعصومين، ولكن الله قد اصطفاهم لهذا الخير حتى يكونوا هم قادة الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبلغين عنه دين الله تبارك وتعالى

وعرفنا اللّه تعالى بفضلهم في مواضع من كتابه :- {والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم (١٠٠)} [التوبة]

{محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما (٢٩)} [الفتح]

{لقد رضي اللّه عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا} [الفتح: ١٨]

أي تزكية بعد هذه التزكيات ؟!

وعَرّف اللّه عزوجل المتأخرين من الصحابة بفضل السابقين منهم فقال جل وعلا: { لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير (١٠)} [الحديد] الحُسنى هي الجنة.

وعرفهم بفضل الخارجين في سبيل اللّه لقتال الكفار على القاعدين من غير عذر فقال عزوجل: {لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما (٩٥)} [النساء]

{ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون (٨) والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون (٩)}

وقد بين الله تعالى ما يجب أن يكون موقفنا تجاههم عقب هذه الآية فقال جل وعلا:{والذين جاؤ من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤف رحيم (١٠)} [الحشر]

وقد جعلهم الله تعالى مصدرا لإغاظة الكفار كما سبق في قوله:{ليغيظ بهم الكفار} [الفتح: ٢٩]

ولقد عَرّفنا النبي ﷺ بفضلهم فقال كما في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري : « لا تسبوا أصحابي ؛ فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً، ما بلغ مد أحدهم، ولا نصيفه ».

وقال كما عند مسلم عن أبي موسى : « النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون » .

وقال كما عند ابن أبي شيبة في " مصنفه " عن واثلة: « لا تزالون بخير ما دام فيكم من رآني وصاحبني. والله! لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأى من رآني وصاحب من صاحبني، والله! لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأى من رأى من رآني، وصاحب من صاحب من صاحبني ».

وقال كما في الصحيحين عن عمران وابن مسعود وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة :«خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم »

وغير ذلك من الأحاديث التي تبين فضلهم عموما

وعرّفنا بفضل بعضهم على وجه الخصوص فمثلاً خديجة رضي الله عنها كانت من السابقين في الإسلام فعرف صلى الله عليه وسلم فضلها حتى بعد موتها، فكان يكثر ذكرها، ويحسن إلى صواحبها حتى قالت عائشة رضي الله عنها: ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة، ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له : كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة. فيقول : « إنها كانت، وكانت، وكان لي منها ولد ». رواه البخاري

وصدق من قال:

لا يعرف الفضل لأهل الفضل من الناس إلا ذووه.

وقال مخبراً عن فضل عائشة رضي الله عنها كما في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري:« فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ».

والثريد: الطعام الذي يصنع بخلط اللحم والخبز المفتت مع المرق، وأحيانا يكون من غير اللحم.

وقال عن أبيها الصديق أبي بكر عبد الله بن عثمان أبي قحافة رضي الله عنهما:« إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت وقال أبوبكر : صدقت. وواساني بأهله وماله ».

وروى مسلم عن عائشة قالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه : « ادعي لي أبا بكر أباك، وأخاك حتى أكتب كتابا ؛ فإني أخاف أن يتمنى متمن، ويقول قائل : أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » .

ورى أحمد والترمذي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب » .

وقال النبي ﷺ كما في الصحيح : «من يحفر بئر رومة فله الجنة». فحفرها عثمان، وقال: «من جهز جيش العسرة فله الجنة» فجهزه عثمان

عن سعد بن أبي وقاص قال: خلف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في غزوة تبوك، فقال: يا رسول الله، تخلفني في النساء والصبيان؟ فقال: «أما ترضى أن تكون بمنزلة هارون من موسى؟ غير أنه لا نبي بعدي» .

وعرّفَ الأنصار بفضلهم فقال ﷺ كما في الصحيح: «لو أن الأنصار سلكوا واديا، أو شعبا، لسلكت في وادي الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار»

فقال أبو هريرة رضي الله عنه: ما ظلم بأبي وأمي، آووه ونصروه.

وفي حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: « الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله » متفق عليه

وفي البخاري ومسلم عن عبد الله بن زيد بن عاصم رضي الله عنه، قال : لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم، ولم يعط الأنصار شيئا، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم، فقال : « يا معشر الأنصار ، ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي ؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ؟ وعالة فأغناكم الله بي ؟ » كلما قال شيئا قالوا : الله ورسوله أمن. قال : « ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله ﷺ ؟ » قال : كلما قال شيئا قالوا : الله ورسوله أمن. قال : « لو شئتم قلتم : جئتنا كذا وكذا، أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى رحالكم ؟ لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شعار ، والناس دثار، إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض » .

الشعار هو: اللباس الداخلي الذي يلي الجسم

والدثار : اللباس الخارجي

قال ابن حجر : وهي استعارة لطيفة لفرط قربهم منه، وأراد أيضا أنهم بطانته وخاصته وأنهم ألصق به وأقرب إليه من غيرهم.

[فتح الباري في شرح صحيح البخاري][٥٢/٨]

وفضائل الصحابة كثير وقد أفردت في مصنفات وحسبنا هنا الإشارة فقط، فيجب علينا معرفة فضلهم وتربية الأبناء على ذلك، وتربيتهم على محبتهم وإجلالهم وذكرهم بالجميل وتعليمهم السيرة الصحيحة عنهم؛ لأن سيرتهم قد شوهت، ويجب التحذير ممن يطعن في الصحابة عاملهم الله بعدله.

باب: في معرفة فضل
آل بيت النبي ﷺ

💢 آل النبي صلى الله عليه وسلم يطلق على قسمين:

١ـ أتباعه في الدين.

٢ـ مَن حُرمت عليهم الصدقة، وهم آل علي، وآل عباس، وآل عقيل، وآل جعفر كما في مسلم عن زيد بن أرقم

وإذا ذُكر الصحب مع الآل فلا يراد بالآل إلا القسم الثاني والله أعلم

وقد سبق الحديث عن الصحابة ، وبقي الكلام عن فضل الآل

أولاً يجب أن نعلم أن الفضائل التي وردت في حق آل البيت إنما تنصب في الصالحين منهم، أما الكفار فلا ينتفعون بشيء من ذلك كما قال النبي ﷺ :« من بطأ به عمله لم يُسرع به نسبه » رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

قال تعالى:{تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد}

قال الشاعر :

لعمرك ما الإنسان إلا بدينه فلا تترك التقوى اتكالا على النسب
فقد رفع الإسلامُ سلمانَ فارس ووضعَ الكفرُ الشريفَ أبا لهب

فلو كان مجرد النسب كافيا في التفضيل لكان أبو لهب، وأبو جهل، وأبو طالب خير من بلال الحبشي، وسلمان الفارسي وغيرهما وليس كذلك.

أما الصالحون فلهم فضل على غيرهم يجب معرفته لهم

روى الإمام مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا، بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر ، ثم قال: « أما بعد ، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به » فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: « وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي » فقال له حصين: ومن أهل بيته؟ يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم.

ونساء النبي صلى الله عليه وسلم من أهل بيته كما في هذا الحديث وأيضاً كما في البخاري في قصة الإفك « من يعذرنا في رجل بلغني أذاه في أهل بيتي، فو الله ما علمت من أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا ».

وروى الترمذي عن جابر بن عبد الله ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب، فسمعته يقول : « يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا : كتاب الله، وعترتي أهل بيتي » .

قال الترمذي : وفي الباب : عن أبي ذر ، وأبي سعيد، وزيد بن أرقم، وحذيفة بن أسيد.

ومعرفة فضل آل البيت يتمثل بالآتي ذكره :

١_ محبتهم المحبة الشرعية ، وتوقيرهم ، والإحسان إليهم.

٢_ إجلالهم بقدر زائد على إجلال غيرهم لما لهم من القرابة بالنبي ﷺ، ولكن هذا الإجلال والاحترام، لا يجوز أن يغالى فيه بحيث يقع الشخص في البدع والمخالفات باسم الإجلال فالإجلال والاحترام لا يعني تقبيل أقدامهم ولا يعني إعطائهم نفقة الزوجة والأولاد ولا يعني الترخيص لهم في فعل الحرام ولا يعني الاجتماع معهم على إقامة الموالد البدعية!

ولا يعني السكوت عن مخالفاتهم، بل يجب إنكار المنكر إذا صدر منهم كما ينكر على غيرهم، بالتي هي أحسن

٣_ نصرتهم في الحق

٤_ النصح لهم

٥_ مواساتهم بالفرح لفرحهم والحزن لحزنهم

٦_ مساعدتهم فيما يحتاجون بقدر الاستطاعة

٧_ جلب السرور لهم والتواصل معهم بالهدايا ونحو ذلك

وغالب ما ذكرته ينبغي أن يكون حتى مع غيرهم من المسلمين سوى الإجلال فلا يكون إلا لمن يستحقه كآل البيت، والعلماء، والوالدين، وكبار السن، وقد يجتمع في الواحد عدة مزايا ككونه والدا، ومن آل لبيت، وعالما، وكبيرا في السن، فيعظم إجلاله، وتعظم محبته من غير غلو ، وعلى كل حال فالمؤمنون من أهل البيت يجب احترامهم، والإحسان إليهم؛ لقرابتهم من نبينا ﷺ ، والله تعالى أعلم

ذكر ابن خلكان في " وفيات الأعيان " (١٦٧/٦) أن يحيى بن معاذ دخل على علوي ببلخ زائرا له ومسلما عليه فقال له العلوي : أيد الله الأستاذ، ما تقول فينا أهل البيت؟ قال: ما أقول في طين عجن بماء الوحي، وغرس بماء الرسالة، فهل يفوح منهما إلا مسك الهدى وعنبر التقى فحشى العلوي فاه بالدر .

ثم زاره من الغد ، فقال يحيى بن معاذ : إن زرتنا فبفضلك وإن زرناك فلفضلك، فلك الفضل زائرا ومزورا.

باب: في معرفة فضل التابعين والأئمة والعلماء

أما التابعون فلهم فضل كبير علينا في تبليغ الدين، والعلم، وقد كان الواحد منهم ربما رحل شهر لأجل حديث واحدا!

فلذلك هم خير القرون بعد الصحابة كما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته » متفق عليه

ونحوه عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم - قال : ولا أعلم ذكر الثالث أم لا ». وجاء عن غيرهما كما سبق.

وخير التابعين في العلم سعيد ابن المسيب بشهادة الأئمة له لكن خيرهم في العبادة، والعمل أويس القرني لحديث عمر الذي رواه مسلم قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن خير التابعين رجل يقال له : أويس، وله والدة، وكان به بياض، فمروه فليستغفر لكم » .

* التابعون حرصوا على أخذ العلم من الصحابة أيما حرص فمنهم من رحل شهراً لأجل حديث واحد كما سبق، ومنهم من يتتبع الصحابة بحثاً عن الفتوى، ومنهم من لازم صحابياً عشرين سنة فأكثر وغير ذلك مما يندهش منه قارئ سيرتهم.

ثم بعد ذلك حرصوا على تبليغه لنا بوجهٍ صافٍ بعيدٍ عن الوضع والتدليس فكانوا يقولون: سموا لنا رجالكم فننظر إلى حديث أهل السنة فيقبل وننظر إلى حديث أهل البدعة فلا يقبل فجزاهم الله خيراً

💢 أما الأئمة والعلماء فهم خير الناس في كل عصرٍ ومصر

هم الذين تعلموا القرآن والسنة وعلموهما عباد الله ، وفضائلهم معروفة يطول سردها لكن يكفيك أن تعلم أنهم هم المبلغون عن الله شريعته للناس، وهم الذابون عن هذا الدين، ويردون على المحدثين فيه، وعلى المعادين له، وهم الذين يحثون الناس على ما فيه صلاحهم، واستقرارهم، وعزهم، ومجدهم، ورفعتهم.

وهم الذين يرشدون المسلمين في نوازلهم إلى الصواب في حين يتخبط الناس.

يُبصرون الفتنة حين إقبالها بينما لا يعرفها أكثر الناس إلا بعد أن تخبط في الناس، وتولي مدبرة.

العلماء فضلهم كبير وللأسف كثير من الناس لا يعرفون قدرهم، بل يسخرون منهم، ويرمونهم بالألقاب السيئة

كقولهم: علماء الحيض والنفاس! وعلماء السلاطين وعلماء الطهارة! ونحو ذلك وأكثر وبعض العبارات نستحي من ذكرها

بل إن كثيراً من الناس حتى من طلاب العلم لا يعرفون قدر العلماء بل تجدهم يفرحون بسماع الوعاظ المؤثرين أكثر من فرحهم بسماع كلام العلماء ووعظهم

وربما يقول بعض الناس: هذا الواعظ أفضل من ذلك الشيخ! فيفضل الواعظ على العالم! هذا أقل ما يُقال فيه: سفه في العقل.

النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» رواه الترمذي عن أبي أمامة وحسنه الألباني

كان الناس في بلاد المملكة العربية السعودية في عهد وحياة العلامة ابن عثيمين وابن باز رحمة الله عليهما إذا سمعوا بمحاضرة لواعظ من المشهورين لا تتسع لهم المساجد فيحاضرون في الملاعب الكبيرة !

بينما إذا أعلنت محاضرة لأحد كبار العلماء كابن باز رحمه الله تعالى لا يحضر عنده نحو ذلك العدد من الناس؛ والسبب هو عدم معرفة قدر العلماء وفضلهم على من سواهم.

ومعلومٌ لدى حذاق طلاب العلم أن الوعاظ تحصل منهم الأغلاط العقدية، والفقهية، والسلوكية، واللغوية أكثر من حصولها من العلماء، وربما نفر الناس عن الدعوة النقية، ومن البر ما يكون عقوقا.

بل صدور تلك الأغلاط من العلماء نادر بخلاف الوعاظ وذلك يبين لك الفرق بين العالم والواعظ

فلا ينبغي للمرء أن يفضل الوعاظ على المشايخ والعلماء ولا تغتر بأساليب الإلقاء!

وتأمل معي رعاك الله

هل تعرف أحدا من العلماء المعاصرين كالألباني وابن باز وابن عثيمين والوادعي واللحيدان والفوزان والعباد والقرعاوي والشنقيطي والسعدي والإتيوبي و..

كان مشهورا في حال شبابه؟

بل كل هؤلاء لم تعرفهم الأمة إلا بعد أن صاروا علماء فلم يكونوا يحبون التصدر والظهور والبحث عن الأساليب الوعظية

أما اليوم فكثير من الدعاة من طلاب العلم يعظمون أنفسهم، ويحاولون الظهور بكل وسيلة ويريدون أن يعرفوا وليس عندهم شيء

فنجد هذا يسجل نفسه في المسجل وينشر وذاك يتكلف الأساليب تكلفاً و.. وكلها وإن كان ثمة خير حاصل لكنه مجرد حماس فترة وينتهي {فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض} [الرعد : ١٧]

* الواعظ يعظ العوام والعلماء يعظون الوعاظ !

كثيراً من الوعاظ لا يجيدون فناً من الفنون بتمامه كالنحو أو الصرف أو الفقه أو الحديث أو الاعتقاد..

واعلم أن كل عالم واعظ ولا عكس

وليس شرطاً في الوعظ أن يتكلف المرء الأساليب، ولا يشترط حسن الصوت، بل الذي ينبغي هو التأمل في معاني الكلام الذي يلقى من غير مبالاة بالأسلوب، فإن هذا يجعلك تستفيد من الوعظ ويجعلك تعرف قدر العلماء ؛ فإن كلامهم مسدد ويجري على أصول وقواعد واطلاع واسع، بخلاف ذاك الواعظ الذي يحفظ الموضوع، ويحضره ثم يأتي يتفنن في إلقائه، وربما حطب بليل!

فالعالم لا يحتاج إلى تحضير لأن وقته كله مع العلم أصلاً فيختار فقط الموضوع ثم يتكلم فإذا به بحر يتدفق من الفوائد العلمية الرصينة من تحقيق أحاديث وآثار ومسائل وتنبيهات

وقارن يا طالب العلم بين محاضرة تفرغ لواعظ من الوعاظ، ومحاضرة تفرغ لعالم من العلماء ستجد فرقاً جليا.

فآلله الله بمعرفة قدر العلماء ومعرفة فضلهم والتعظيم من شأنهم ونشر ذلك بين الناس حتى لا يحتقروا علماءهم فيضلوا بذلك.

قال ابن المبارك: من استخف بالعلماء ذهبت آخرته. [النبلاء][٨/٤٠٨]

ومن أراد الله به خيراً فإنه يُعرفه بقدر العلماء فيستفيد منهم، وربما صار منهم ، أما الذي يحتقرهم فطريق العلم مسدود عليه إلا أن يتداركه الله تعالى برحمته.

العلامة صالح الفوزان حفظه الله تعالى لما جاء إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال : « بينا رجل يمشي فاشتد عليه العطش، فنزل بئرا، فشرب منها، ثم خرج، فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال : لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي. فملأ خفه ثم أمسكه بفيه، ثم رقي فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له » .

قال العلامة الفوزان: فكيف بمن يسقي الناس التوحيد ؟! ا.ه

لله دره ، تأمل هذه اللفتة العميقة، وهذا التنظير البديع، هؤلاء هم العلماء، الذين يهتدى بهديهم.

💢 فالخلاصة أنه يجب على المسلم أن يعرف فضل العلماء، فهم نجوم يستضيء المسلمون بها في ظلماتهم، وهم مرجع لحل القضايا بالكتاب والسنة، وهم صفوة الخلق، وهم أتقى الناس لربهم سبحانه

قال النبي ﷺ كما عند أحمد عن عائشة: « إني لأعلمكم با لله عز وجل، وأتقاكم له قلبا» وهو في صحيح البخاري بلفظ: « إن أتقاكم، وأعلمكم با لله أنا ».

قال بعض السلف: من كان با لله أعلم كان منه أخوف.

وقد صنف العلماء الكتب في هذا الموضوع، وتكلموا عنه بكثرة في كتب كثيرة، وانظر من أفضل ذلك " جامع بيان العلم وفضله " للإمام ابن عبد البر رحمه الله تعالى، و " مفتاح دار السعادة " لابن القيم

💢 ولم يزل العلماء يعرف بعضهم فضل بعض، ويعترف بعضهم لبعض بذلك، أو يذكر أحدهم فضل الآخر لطلابه أو أبنائه

* فهذا الإمام أحمد اشتهر عنه أنه كان يكثر الدعاء للشافعي حتى قال ابنه له: يا أبت، أيّ رجل كان الشافعي؛ فإني أراك تكثر من الدعاء له؟!
قال: يا بني، لقد كان الشافعي للناس، كالشمس للدنيا، وكالعافية للبدن، هل لذين من خلف أو عنهما من عوض؟

وقال أحمد: ما بت منذ ثلاثين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي وأستغفر له.

" وفيات الأعيان " لابن خلكان (١٦٤/٤)

وقال الشافعي :

قالوا يزورك أحمد وتزوره ... قلت: الفضائل ما تعدت منزله
إن زارني فبضله أو زرته ... فلفضله، فالفضل في الحالين له .

فأجابه الإمام أحمد - رضي الله عنه - :

إن زرتنا فبفضل منك تمنحنا ... أو نحن زرنا فللفضل الذي فيكا
فلا عدمنا كلا الحالين منك ولا ... نال الذي يتمنى فيك شانيكا.

" غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب " ، " شذرات الذهب " (١٨٨/٣)

* وهذا ابن القيم يذكر في " نونيته " (٢٣١/١) فضل شيخه أبي العباس أحمد ابن تيمية رحمهما الله تعالى:

فاقرأ تصانيف الإمام حقيقة ... شيخ الوجود العالم الرباني

أعني أبا العباس أحمد ذلـ ... ـك البحر المحيط بسائر الخلجان

إلى قوله:

لم يتسع نظمي لها فأسوقها ... فأشرت بعض إشارة لبيان

إلى قوله:

وله المقامات الشهيرة في الورى ... قد قامها لله غير جبان

إلى قوله:

نصر الإله ودينه وكتابه ... ورسوله بالسيف والبرهان

أبدى فضائحهم وبين جهلهم ... وأرى تناقضهم بكل زمان

وأصارهم والله تحت نعال أهـ ... ـل الحق بعد ملابس التيجان

وأصارهم تحت الحضيض وطالما ... كانوا هم الأعلام للبلدان

ومن العجائب أنه بسلاحهم ... أرداهم تحت الحضيض الداني

كانت نواصينا بأيديهم فما ... منا لهم إلا أسير عان

فغدت نواصيهم بأيدينا فما ... يلقوننا إلا بحبل أمان

وغدت ملوكهم مماليكا لأنصـ ... ـار الرسول بمنة الرحمن

وأتت جنودهم التي صالوا بها ... منقادة لعساكر الإيمان

يدري بهذا من له خبر بما ... قد قاله في ربه الفئتان.

وقال في " إعلام الموقعين " (٢٨٩/١): وأنا أذكر ما حصلته من جوابه بخطه ولفظه، وما فتح الله - سبحانه - لي بيمن إرشاده، وبركة تعليمه، وحسن بيانه وتفهيمه .

ولما أورد حديث «ما بعث الله من نبي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم» .

قال: وهذا شأن خلق الرسل وورثتهم من بعدهم، ورأيت شيخنا قدس الله روحه يتحرى ذلك في فتاويه مهما أمكنه، ومن تأمل فتاويه وجد ذلك ظاهرا فيها. " إعلام الموقعين عن رب العالمين " (١٢٢/٤)

وقال: وكان شيخنا كثير الدعاء بذلك، وكان إذا أشكلت عليه المسائل يقول: يا معلم إبراهيم علمني. ويكثر الاستعانة بذلك اقتداء بمعاذ بن جبل - رضي الله عنه. " إعلام الموقعين " (١٩٨/٤)

وقال: هذا كله كلام شيخنا. " إغاثة اللهفان " (٣٧٤/١)

وقال: وشاهدت شيخنا يرسل إلى المصروع من يخاطب الروح التي فيه، ويقول: قال لك الشيخ: اخرجي، فإن هذا لا يحل لك، فيفيق المصروع، وربما خاطبها بنفسه، وربما كانت الروح ماردة فيخرجها بالضرب، فيفيق المصروع ولا يحس بألم، وقد شاهدنا نحن وغيرنا منه ذلك مرارا. " الطب النبوي "(١/٥٢)

ولما ذكر ما ورد في قراءة آية الكرسي عقب الصلاة قال: وبلغني عن شيخنا أبي العباس ابن تيمية قدس الله روحه أنه قال: ما تركتها عقيب كل صلاة. " زاد المعاد " (٢٩٤/١)

وذكر محاسن الشيخ، وكراماته من تعريف الناس بفضله.

ولما ذكر تفسير أبي العباس العابر لبعض الرؤى التي يُسأل عنها قال: وهذه كانت حال شيخنا هذا، ورسوخه في علم التعبير، وسمعت عليه عدة أجزاء، ولم يتفق لي قراءة هذا العلم عليه لصغر السن واخترام المنية له رحمه الله تعالى. " زاد المعاد " (٥٣٨/٣)

وقال: جاء إخبار الرب تعالى وإخبار رسوله مطابقا لما فى فطرهم السليمة وعقولهم المستقيمة فتضافر على إيمانهم به الشريعة المنزلة و الفطرة المكملة والعقل الصريح فكانوا هم العقلاء حقا وعقولهم هى المعيار، فمن خالفها فقد خالف صريح المعقول والقواطع العقلية، ومن أراد معرفة هذا فليقرأ كتاب شيخنا وهو "بيان موافقة العقل الصريح للنقل الصحيح" فإنه كتاب لم يطرق العالم له نظير فى بابه، فإنه هدم فيه قواعد أهل الباطل من أسها فخرت عليهم سقوفه من فوقهم، وشيد فيه قواعد أهل السنة والحديث وأحكمها ورفع أعلامها وقررها بمجامع الطرق التى تقرر بها الحق من العقل والنقل والفطرة والاعتبار فجاء كتابا لا يستغنى من نصح نفسه من أهل العلم عنه فجزاه الله عز وجل عن أهل العلم والإيمان أفضل الجزاء، وجزى العلم والإيمان عنه كذلك. " طريق الهجرتين " (١٥٥/١).

وتراه كثيرا إذا ذكره شيخه يقول: قدس الله روحه. أو رضي الله عنه. ويذكر ترجيحاته، وأقواله في المسائل، وهذا من نشر علمه، وأحيانا يذكر ما يرجحه شيخه ثم يدلل هو عليه، ويُبَيِنُ وجه صحته، وهذا كله من معرفته لفضله عليه ، فرحمهما الله تعالى رحمة واسعة.

* وهذا الإمام الصنعاني لما بلغته دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ذكر فضله، ودونه في أبيات يقول فيها:

سلام على نجد ومن حل في نجد ... وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي

قفي واسألي عن عالم حل سوحها ... به يهتدي من ضل عن منهج الرشد

محمد الهادي لسنة أحمد ... فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدي

لقد أنكرت كل الطوائف قوله ... بلا صدر في الحق منهم ولا ورد

إلى أن قال:

وقد جاءت الأخبار عنه بأنه ... يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي

وينشر جهرا ما طوى كل جاهل ... ومبتدع منه موافق ما عندي

ويعمر أركان الشريعة هادما ... مشاهد ضل الناس فيها عن الرشد

إلى قوله في الدفاع عنه:

يصب عليه سوط ذم وغيبة ... ويجفوه من كان يهواه من عمد

ويعزى إليه كل ما لا يقوله ... لتنقيصه عند التهامي والنجد

فيرميه أهل الرفض بالنصب فرية ... ويرميه أهل النصب بالرفض والجحد

وليس له ذنب سوى أنه غدا ... يتابع قول الله في الحل والعقد

ويتبع أقوال النبي محمد ... وهل غيره بالله في الشرع من يهدي.

فالعلماء مصابيح الدجى، يستضيء الناس بهم في أمور دينهم، فوجودهم أمن، وكلامهم علم، ومجالستهم بركة، ودعاؤهم غنيمة، وذهابهم ذهاب للعلم

في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبق عالما اتخذ الناس رءوسا جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا » .

وإذا ذهب العلماء، تسلط الرويبضات على مقامهم، فتكلموا في القضايا، ودخلوا فيما لا يُحسنوا، وأفتوا بغير علم، وحينها يحصل البلاء العريض، والشر المستطير، والجراح البليغ، المنكي في هذه الأمة، وهذا قد حصل منه الكثير مع وجود جمع من علماء الشريعة، يذبون عنها، ويبينون الحق من الباطل، فكيف إذا ذهب العلماء، وصار هؤلاء الرويبضات هم المتسلطون على الناس؟!

روى ابن ماجه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « سيأتي على الناس سنوات خداعات، يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة » . قيل : وما الرويبضة ؟ قال : « الرجل التافه في أمر العامة » . وعند أحمد : « السفيه يتكلم في أمر العامة » .

وأصل ذلك ما ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى أن العلم والعدل أصل كل خير ، والظلم والجهل أصل كل شر . " مدارج السالكين " (٤٨٢/٣)

باب معرفة فضل الوالدين

الوالدان لهما فضل كبير علينا بعد الله سبحانه وتعالى؛ ولذلك ذكر الله سبحانه حقهما بعد حقه في عديد من المواضع من كتابه في النساء الآية [٣٦]{ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً } وفي الأنعام [١٥١] و الإسراء [٢٣] ولقمان [١٣_١٤]

ووصى بهما في العنكبوت [٨] وفي الأحقاف [١٥_١٧] وفي النمل [١٩] وذلك لأنهما تعبا في تربية الولد ، في أكله، وشربه، ونومه، ومرضه، وكسوته، ومشاكله، وقبل ذلك تعبت أمه في حمله في بطنها تسعة أشهر ، وتعب أبوه في معاناة أمه، ومرضها، وحاجاتها.

فهذا كله إحسان للطفل، وتفضل عليه، فيجب عليه معرفة الفضل لأهله، ومقابلة الإحسان بالإحسان

{هل جزاء الإحسان إلا الإحسان} [الرحمن: ٦٠]

ولهذا قال سبحانه:{واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا} [الإسراء: ٢٤]

فهما رحماك صغيرا، أفلا ترحمهما كبيرا، وتطلب لهما رحمة ربك؟!

وقد ورد في السنة أحاديث كثيرة تبين عظم فضلهما على الولد

روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يقول : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في الجهاد ، فقال : « أحي والداك ؟ » . قال : نعم. قال : « ففيهما فجاهد » .

وفي رواية: عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : أقبل رجل إلى نبي الله ﷺ ، فقال : أبايعك على الهجرة والجهاد ؛ أبتغي الأجر من الله. قال : « فهل من والديك أحدٌ حي ؟ » قال : نعم ، بل كلاهما. قال : « فتبتغي الأجر من الله ؟ » قال : نعم . قال : « فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما » .

وعن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يجزي ولد والدا ، إلا أن يجده مملوكا، فيشتريه، فيعتقه » رواه مسلم

والأحاديث كثيرة راجعها في موسوعة " نضرة النعيم " ، ونحوها، وهنا لست بصدد سردها، ولكن تكفي الإشارة

قال الإمام أبو الفرج ابن الجوزي:

رأيت شبيبة من أهل زماننا لا يلتفتون إلى بر الوالدين ، ولا يرونه لازما لزوم الدين، يرفعون أصواتهم على الآباء والأمهات، وكأنهم لا يعتقدون طاعتهم من الواجبات، ويقطعون الأرحام التي أمر الله سبحانه بوصلها في الذكر ، ونهى عن قطعها بأبلغ الزجر ، وربما قابلوها بالهجر والجهر ، وقد أعرضوا عن مواساة الفقراء مما يرزقون، وكأنهم لا يصدقون بثواب ما يتصدقون، قد التفتوا بالكلية عن فعل المعروف، كأنه في الشرع، والعقل ليس بمعروف. وكل هذه الأشياء تحث عليها المعقولات، وتبالغ في ذكر ثوابها وعقابها المنقولات. انتهى

هذا السبب جعله يؤلف كتاباً كاملاً في بر الوالدين ذكر هذا في مقدمته، وهذا يقوله في زمنه رحمه الله قبل ٨٤٨ سنة!

لأننا الآن في ١٤٤٥ وهو توفي في ٥٩٧ من الهجرة النبوية

١٤٤٥ – ٥٩٧ = ٨٤٨

والنبي ﷺ قد قال: «لا يأتي زمان إلا والذي بعده شره منه» كما في البخاري عن أنس رضي الله عنه.

فماذا نتوقع في زمننا ؟

نسمع عجائب في العقوق، تصدر من أبناء المسلمين، وفي ديار الإسلام:

الذي يرمي بأمه في الشارع، ويذهب!

والذي يضع أمه في دار المسنين!

والذي يشتكي منه أبوه من عقوقه ويتأذى منه!

والذي يريد أن يذبحه أبوه لطغيانه في العقوق! ...

والذي يضرب أمه، والذي يقدم رغبات زوجته على أمه!

والشنيع أن يكون الولد العاق من أهل السنة والجماعة، وأعجب من ذلك أن يكون طالب علم!

والأدهى أن يكون قد صار من الدعاة إلى الله وهو عاق!

هذا يشوه بالدعوة، ولم ينتفع بعلمه بل القرآن حجة عليه.

ولا أقول هذا من باب التخمين، لا، بل هذه أمور تقع عياناً.

نسأل الله السلامة والعافية

ففتش في حالك، وتفقد والديك أو من بقي منهم حياً، وإن كانا قد توفيا فادع الله لهما واعلم أنك مجزي بعملك، وفي الحديث وإن كان ضعيفا: « بروا آباءكم تبركم أبناؤكم ».

اللهم وفقنا لبر الوالدين واجعلهما راضيين عنا يا كريم

فإن من وفق لهذا يسعد بإذن الله مع الاستقامة على شرع الله.

انظر كتاب " بر الوالدين " لابن الجوزي وكتاب " عقوق الوالدين " لمحمد بن إبراهيم الحمد ، والحليم تكفيه إشارة.

باب معرفة فضل الأقارب

اعلم رحمك الله أن لقرابتك عليك فضل، يجب عليك معرفته، فما أنت إلا جزء من لحمتهم ، بهم تعتز بعد الدين ، وتظهر شخصيتك في المجتمع ، وإليهم تنتسب ، وهم عصبتك، وعاقلتك ، يفزعون لفزعتك، ويفرحون لفرحتك ، ويحزنون لحزنك ، ويهمهم ما يهمك.

وقد حث ديننا على الإحسان إليهم، ومعرفة فضلهم، وأوجب وصلهم وحَرّم قطيعتهم

قال الله تعالى:{واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى} [النساء: ٣٦] أي: وأحسنوا إلى ذي القرابة إحساناً

هذه الآية يسميها العلماء بآية الحقوق العشرة؛ لأن الله سبحانه أوجب على العبد فيها الإحسان إلى عشرة أشياء، والشاهد أنه جعل فيها حقا لذوي القربى، وهو الحق الثالث فيها.

وقد ضرب النبي ﷺ أروع الأمثلة في صلة الرحم فإنه قال لأصحابه فيما روى مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه: « ستفتحون مصر فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً »

وفي رواية « ذمة وصهراً»

قال النووي: أما الذمة فهي الحرمة والحق وهي هنا بمعنى الذمام وأما الرحم فلكون هاجر أم إسماعيل منهم وأما الصهر فلكون مارية أم إبراهيم منهم. " شرح مسلم "(٩٧/١٦)

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى، وأبكى من حوله فقال: «استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي ذ واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكر الموت» .

وقد كان يذبح الشاة ويرسل باللحم إلى صديقات خديجة بعد موتها

ويقول عليه الصلاة والسلام كما عند مسلم من حديث ابن عمر: « إن أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه »

وقال عليه الصلاة والسلام: « وتصل الرحم »

روى الترمذي وغيره عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة جئت فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب. فكان أول ما قال: «أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام» .

وقال هرقل لسفيان بن حرب رضي الله عنه : ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة. متفق عليه

وأعظم الصلة أن تصلهم بالنصيحة والدعوة إلى الله سبحانه، كما فعل ذلك نبينا، وأسوتنا صلى الله عليه وسلم حين أمره الله بذلك بقوله: {وأنذر عشيرتك الأقربين} دعا عشيرته كلها ثم أمرهم بالتوحيد وحذرهم من الشرك، ونصحهم بما ينفعهم لو عملوا به.

روى مسلم عن أبي هريرة قال : لما أنزلت هذه الآية : { وأنذر عشيرتك الأقربين } دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا، فاجتمعوا، فعم وخص، فقال : « يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني

مرة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني عبد شمس، أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النار. يا فاطمة، أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئا غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها » . ومعنى: سأبلها ببلالها. أي: سأصلها بصلتها التي تستحقها.

ورواه النسائي عن موسى بن طلحة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بني عبد مناف اشتروا أنفسكم من ربكم، إني لا أملك لكم من الله شيئا، يا بني عبد المطلب اشتروا أنفسكم من ربكم، إني لا أملك لكم من الله شيئا، ولكن بيني وبينكم رحم أنا بالها ببلالها » .

وقد رهب الشرع من قطيعة الرحم وبين الوعيد في ذلك :-

قال تعالى:{فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم (٢٢) أولئك الذين لعنهم فأصمهم وأعمى أبصارهم (٢٣) أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها (٢٤) } [محمد]

وقال عز و جل:{ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار } [الرعد: ٢٥]

ومما أمر الله بوصله الأرحام فإنه قال كما في الحديث القدسي عن عبد الرحمن بن عوف قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله : أنا الرحمن، وهي الرحم، شققت لها اسما من اسمي، من وصلها وصلته، ومن قطعها بتته » رواه أبو داود وصححه الألباني

وروى مسلم عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « الرحم معلقة بالعرش، تقول : من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله » .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:«إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟، قالت: بلى، قال: فذالك لك » ثم قال رسول الله - ﷺ -: « اقرءوا إن شئتم » {فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم * أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم} [محمد: ٢٢، ٢٣].

وفي حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه في الصحيحين قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:« لا يدخل الجنة قاطع ».

ولقد أحسن من قال:

وظلمُ ذوي القربى أشدّ مضاضةً

على النفس من وقع الحسام المهند

الحسام يطلق به السيف القاطع، والمهند يريد به الذي طبع من حديد الهند، وهذا من باب المبالغة، وهو كناية عن شدة أثر الظلم حينما يأتي من القريب ، والخيانة من الداخل طعنة في الظهر !

فلهذا يجب على المسلم أن يحافظ على هذه العباد العظيمة، وهي الإحسان إلى الأرحام وصلتهم بالمعروف، وهذا من معرفته لفضلهم.

والأرحام: اسم شامل لجميع من تصلك بهم قرابة من جهة النسب.

باب: معرفة الزوج فضل زوجته، ومعرفة الزوجة فضل الزوج.

والله إن دينَ الإسلام دينٌ لطيف، كامل، فقد اعتنى بجميع حقوق المخلوقات ، ولاسيما حقوق الإنسان بصنفيه الذكر والأنثى، ولم يهضم حق أحد منهما كما يزعم المغرضين، أعداء الإسلام، قاتلهم الله.

فالإسلام جاء بالأخلاق الحسنة، ومنها: معرفة فضل الآخرين، ومن ذلك: معرفة الزوجة فضل زوجها، ومعرفة الزوج فضل زوجته.

فلم يجعل العلاقة الزوجية مجرد ارتباط شهواني، أو علاقة مالية بحيث يكون الزوج قد اشترى الزوجة بماله فيفعل فيها ما يشاء ولا يُقيمُ لها وزناً ولا اعتبارا

بل عَرّف الزوجة بفضل زوجها وبالغ في ذلك حتى قال عليه الصلاة والسلام:« لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة لزوجها » كما عند الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

وهذا يدلك على عظيم حق الزوج على الزوجة فيجب عليها أن تعرف فضله فلا تعصي أمره مالم يأمرها بمعصية.

حتى قال العلماء: طاعة الزوج مقدمة على طاعة الوالدين إذا تعارضتا.

كما أنه عرّف الزوج بفضل الزوجة فجعلها لباسه الذي يستتر به، وجعلها عفته التي تحصن بها، وجعلها سكنه الذي يأرز ويأوي إليه، وجعلها صاحبته التي يصحبها، وأمره بالإحسان إليها، ونهاه عن الإساءة إليها.

والأدلة كثيرة لكن أذكر بعضها على سبيل الإيجاز

💢 أدلة بيان فضل الزوج على زوجته:

*_ لباسها

وقال سبحانه:{ هن لباس لكم وأنتم لباس لهن } [البقرة : ١٨٧]

*_ مودته لها { وجعل بينكم مودة ورحمة } [الروم : ٢١]

*_ قيامه عليها

قال الله تعالى: {الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله} [النساء: ٣٤] .

ينبغي أن تعلم الزوجة أن زوجها لم يتزوجها إلا بعد البحث عن أفضل النساء، أخلاقا، وجمالا، ونسبا، وتكلف جمع مهرها بعناء، كما هو الحال غالبا، والمقصود أنه يفعل ذلك؛ لأنه لا يشتري مجرد سلعة، بل يدخل بيته كنزا، مضيئا، وسعادة مفقودة، فهو يعتبرها شريكة حياته، وصاحبته في خلواته وجلواته، وأم أولاده، وأمينة أسراره.

وكم يتعب في البحث عن لقمة العيش؛ ليسترها، ويكسوها، ويحافظ على صحتها، وسعادتها ما أمكنه ذلك.

ولو ذكرها أحد بسوء أمامه يغضب لذلك، ويدافع عنها، وربما لا يتردد في مخاصمة أعز رفقائه إن أساء إليها.

ويا لله كم يغار عليها لحبّه إياها.

* فلهذا وغيره جعل الشرع الحنيف طاعة الزوجة لزوجها واجبة، وشدد في ذلك حتى قال كما سبق : «لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها». رواه الترمذي عن أبي هريرة

* وحتم وجوب طاعة الزوج على الزوجة لا سيما ما يتعلق برغباته الخاصة

في الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته، فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح».

وما رتب عليه لعنة فهو كبيرة، فعصيانها لزوجها من الكبائر !

وفي رواية لهما: «إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح».

وفي رواية: «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها».

وعن أبي علي طلق بن علي - رضي الله عنه: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور ». رواه الترمذي والنسائي

* ونهى الزوجة أن تتطوع بصوم من دون استئذان زوجها ؛ لئلا تحرمه من التمتع بما أحل الله تعالى له منها

في الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أيضا: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه». وهذا لفظ البخاري

* وأوجب عليها حفظ أمانة زوجها، ورعاية ولده .

في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته: والأمير راع، والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته».

* ولا يحل لها تعمد أذيته.

فقد روى الترمذي عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال: «لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله! فإنما هو عندك دخيل، يوشك أن يفارقك إلينا».

وقد قال تعالى:{والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا} [الأحزاب: ٥٨]

* حتى لو حصل بينهما فراق بطلاق أو موت يجب الكف عن المساوئ، وذكر الجميل

قال تعالى:{ولا تنسوا الفضل بينكم} [البقرة: ٢٣٧]

وهذا كله يوجبه الشرع الحنيف على الزوجة تجاه الزوج لما له من الفضل عليها.

💢 أدلة بيان فضل الزوجة على زوجها:

*_ سكنه

قال تعالى:{ وجعل منها زوجها ليسكن إليها } [الأعراف: ١٨٩]

قال تعالى:{ومن آيته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون} [الروم: ٢١]

*_ لباسه

وقال سبحانه:{ هن لباس لكم وأنتم لباس لهن } [البقرة : ١٨٧]

*_ صاحبته

وقال عزوجل:{ وصاحبته وبنيه } [عبس: ٣٦]

{ وصاحبته وأخيه } [المعارج: ١٢]

وقال بعض المفسرين هي المقصود بقوله تعالى في آية الحقوق العشرة:{والصاحب بالجنب} [النساء: ٣٦]

روى الترمذي عن عمرو بن الأحوص أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله ﷺ. فحمد الله وأثنى عليه، وذكر ووعظ. فقال: «ألا واستوصوا بالنساء خيرا، فإنما هن عوان عندكم (أي: أسيرات) ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضربا غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا. ألا إن لكم على نسائكم حقا، ولنسائكم عليكم حقا. فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون. ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن »

الحديث أصله في مسلم من حديث جابر رضي الله عنه (١٢١٨)

وأحسن ضابط في الإحسان ما قاله النبي ﷺ كما عند الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو:«وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه»

وفي الترمذي وغيره عن أبي هريرة: «وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا»

* أمر الله جل وعلا بعشرتهن بالمعروف

قال الله تعالى: {وعاشروهن بالمعروف} [النساء:١٩] ،

* ونهى الزوج عن ظلم الزوجة، والحيف في حقها

وقال تعالى: {ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورا رحيما} [النساء: ١٢٩] .

لن تستطيعوا أن تعدلوا بالمحبة؛ لأنها أمر قلبي يصعب ضبطه، لكنكم تستطيعون أن تعدلوا في القسمة بالفراش، والطعام، واللباس، فيجب عليكم العدل فيما تستطيعون أن تعدلوا فيه، ولا يجب عليكم العدل في المحبة؛ لأن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها.

* وصى الشرع الزوج بالزوجة

في الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «استوصوا بالنساء خيرا؛ فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته، لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء».

وفي رواية في الصحيحين: «المرأة كالضلع إن أقمتها كسرتها، وإن استمتعت بها، استمتعت وفيها عوج».

وفي رواية لمسلم: «إن المرأة خلقت من ضلع، لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها». قوله: «عوج» هو بفتح العين والواو.

* ونهى عن ضربها لغير سبب يوجب ذلك.

روى أبو داود عن إياس بن عبد الله بن أبي ذباب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ: «لا تضربوا إماء الله» فجاء عمر - رضي الله عنه - إلى رسول الله - ﷺ - فقال: ذئرن النساء على أزواجهن، فرخص في ضربهن، فأطاف بآل رسول الله - ﷺ - نساء كثير يشكون أزواجهن، فقال رسول الله - ﷺ : «لقد أطاف بآل بيت محمد نساء كثير يشكون أزواجهن ليس أولئك بخياركم».

قوله: «ذئرن» أي: اجترأن، قوله: «أطاف» أي: أحاط

وفي الصحيحين عن عبد الله بن زمعة - رضي الله عنه: أنه سمع النبي - ﷺ - يخطب ، وذكر النساء ، فوعظ فيهن ، فقال: «يعمد أحدكم فيجلد امرأته جلد العبد فلعله يضاجعها من آخر يومه».

فذكر النبي ﷺ الزوج بفضل زوجته عليه، بأنه يجب أن تقابل الإحسان بالإحسان.

وكأنه يقول: أيها الزوج ما الذي يحملك على ضرب زوجتك المسكينة لأتفه الأسباب، أنسيت أنك تطلب سعادتك، وراحة بدنك في مضاجعتها، والاسمتاع بجسدها الذي تضربه ؟!

فينبغي للمرء أن يكون شاكرا للمعروف، ولا يكون ليئما، لا يعرف فضل الآخرين عليه، والله المستعان.

* بل نهى عن مجرد كراهتها لغير سبب يقتضي ذلك.

روى مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر»، أو قال: «غيره».

وقوله: «يفرك» معناه: يبغض، ويكره.

* بين النبي ﷺ حق الزوجة على الزوج.

فعن معاوية بن حيدة - رضي الله عنه - قال: قلت: يا رسول الله، ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت»

رواه أبو داود، وقال: معنى «لا تقبح» أي: لا تقل: قبحك الله.

قلت: وقد يشمل النهي عن قول الزوج لها: أنت قبيحة. أو طعامك قبيح. أو فعلك قبيح؛ لأن الذي ينبغي أن يحسن تعامله معها، فتكون عشرته لها بالمعروف، ولا يكون فظا، غليظا، ويكون ميسرا، لا معسرا، ومشجعا، لا محبطا. وقد قال تعالى:{وقولوا للناس حُسنا} [البقرة: ٨٣] هذا عام في حق جميع الناس، فكيف بالصاحبة، الملازمة ؟!

* ولهذا كان خير الأزواج خيرهم مع أهله

روى الترمذي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لنسائهم».

* إياك أيها الزوج أن تتنكر لزوجتك، ولا تراعي ما أجب الشرع عليك تجاهها، فإن ذلك - مع كونه إثما - يدل على غباء ؛ لأن تكدير لصفوة الحياة، وتنغيص على ملذات النفس، فالسعادة في الحياة الزوجية تكمن في العلاقات القائمة على وئام، ومودة، وعشرة بالمعروف، وتغاضي عن بعض الأغلاط، وتسامح عن الزلات، وحسن في مقابلة العبارات...

طبعا مع القيام بدين الله تعالى

فالذي يعيش على هذا النحو مع زوجته يهدأ باله، ويسعد بها.

ولتعلم يا أخي أن الدنيا أيام وليالي ثم تنقضي، فلا تكدر حياتك

روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن رسول الله - ﷺ - قال: «الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة».

وروى النسائي وأحمد عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « حُبب إليّ من الدنيا النساء والطيب، وجعل قرة عيني في الصلاة » .

{زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حُسن المآب} [آل عمران: ١٤]

فالمرأة مزينة، محبوبة في الأصل، فلا تخرج عن هذا الأصل، وتجحد فضلها، والله المستعان.

باب: معرفة فضل الأصحاب

ومما يجب عليك معرفة فضلهم أصحابك، وإخوانك، وأخلائك.

وهذا الأمر وهو معرفة فضلهم مما يزيد في الصحبة، والأخوة، والخلة؛ لأنهم سيرون أنك كريم الطبع ، شهم الأخلاق ، وأنك من أهل الفضل ولست بلئيم ناكرٍ للجميل والمعروف

ولا يعرف الفضل لأهل الفضل من الناس إلا ذووه

وقد أمر الله بالإحسان إلى الصاحب فقال كما في آية الحقوق العشرة {وبالوالدين إحسانا... والصاحب بالجنب} أي: وأحسنوا إلى الصاحب بالجنب إحسانا والصاحب بالجنب قيل: هو الرفيق في السفر ، وقيل: الزوجة. وقيل: الصاحب مطلقا وهذا أعم، يشمل ما سبق.

روى الترمذي وغيره عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال:« خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ».

وروى الترمذي وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم:« لا يشكر الله من لا يشكر الناس »

قال الخطابي : هذا يتأول على وجهين:

أحدهما : أن من كان من طبعه وعادته كفران نعمة الناس وترك الشكر لمعروفهم كان من عادته كفران نعمة الله تعالى وترك الشكر له.
والوجه الآخر : أن الله سبحانه لا يقبل شكر العبد على إحسانه إليه إذا كان العبد لا يشكر إحسان الناس ويكفر معروفهم لاتصال أحد الأمرين بالآخر. انتهى. [معالم السنن](١/١١٣)

💢 اعلم أن أخاك هذا تكتسب من خلال صحبتك له الحسنات الكثيرة، فإنك لو زرته من أجل الله تؤجر على ذلك ، وإذا لقيته فسلمت عليه تؤجر ، وإذا مرض فعدته تؤجر ، وإذا مات فصليتَ عليه تؤجر ، وإذا تبعت جنازته تؤجر ، وإذا دعوت له تؤجر .

روى مالك عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « قال الله تبارك وتعالى: وجبت محبتي للمتحابين في، والمتجالسين في، والمتزاورين في، والمتباذلين في » .

وروى أبو داود عن البراء بن عازب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا التقى المسلمان فتصافحا، وحمدا الله عز وجل واستغفراه ؛ غفر لهما » ضعفه الألباني

وصحح الألباني عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا» . رواه أحمد والترمذي وابن ماجه

وروى مسلم عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « حق المسلم على المسلم ست ». قيل : ما هن يا رسول الله ؟ قال : « إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه »

وروى مسلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل ».

أخاك أخاك إن من لا أخاً له ... كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح.

ومن فضائل الأصحاب الصالحين أنهم يقفون معك مساندين لك في هذه الحياة، تستعين بهم في قضاء بعض حوائجك، وتأنس برؤيتهم، ولقائهم، والتحدث معهم، والسفر برفقتهم، وتحب ودادهم، وتفرح بحسن تعاملهم معك، وإكرامهم لك، وثنائهم عليك بالخير ، ونصحهم وإرشادهم لك إلى الصواب، ودفاعهم عنك إذا تعرضت لاعتداء...

ويعرف المرء فضل صاحبه حينما يفقده، ولكن يكون قد فات الأوان، فاعرف له فضله حيا، قبل أن تندم على تقصيرك في حقه.

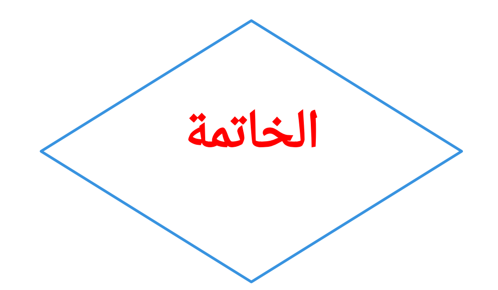
احرص على الأخوة، ومن أسباب الحرص على الأخوة معرفة فضل الأخ، فهذا يزيد في الصحبة، والأخوة، والخلة، ويقوي العلاقة.

وأنت بذلك تكون طائعا لربك، وتثبت بهذا أنك رجل فاضل، تستحق نعمة الأخوة، ولست بلئيم، وإلا فقد تسلب منك هذه النعمة، وما تفارق صديقان إلا بالمعاصي، ومن المعاصي كفران المنعم، ونكران الجميل.

روى أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ويقول والذي نفسي بيده ما تواد اثنان فيفرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما» حسنه الألباني.

ومعرفتك لفضل صاحبك يكون بالإحسان إليه، بالبشاشة في لقائه والتبسم في وجهه، والتواصل بالهدية إن أمكن ولو صَغُرت في نظرك ، وأعظم إحسان تهديه له هو النصيحة في وقتها وبالتي هي أحسن، حتى وإن كان هو يرى أن هذا ليس مهما بل قد يتضايق منه، ولا يعجبه، وقد يبغضك لأجله لكنه لو مات سيعرف أنك أحب الناس إليه، لأنك لم تسكت عن عيوبه بل نبهته لئلا يصيبه العذاب.

فالواجب عليك هو بذل النصيحة والصبر على الأخ، والمحافظة على الأخوة الحاصلة، نسأل الله تعالى التوفيق والسداد.



اعلم عبد الله أن ما ذكرته سابقاً ليس على سبيل الحصر

فالإسلام لم يأمرك بمعرفة فضل بعض الأشياء دون بعض

بل أمرك أن تعرف فضل كل من أحسن إليك كائناً من كان

ولو كان كافراً فمعرفة فضله يكون بالإحسان إليه بالنصيحة، والدعوة إلى الإسلام طريق النجاة وسبيل الفلاح كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب وكما أمر الله بالإحسان إلى الوالدين ومعرفة فضلهما ولو كانا مشركين

قال سبحانه:{ ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما } [العنكبوت: ٨]

وقال جل وعلا:{هل جزاء الإحسان إلا الإحسان} [الرحمن: ٦٠]

وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « من استعاذ با لله فأعيذوه، ومن سأل با لله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه » رواه أحمد وأبو داود والنسائي وصححه الألباني.

قال بعض السلف: إن رأيت شيخاً كبيراً فقل هو خير عند الله مني؛ لأنه سبقني في طاعة الله، وإن رأيت شاباً أصغر منك فقل: هو خير عند الله مني؛ لأني سبقته إلى معصية الله تعالى.

فمعرفة الفضل لأهل الفضل من محاسن دين الإسلام الحنيف، بل إن معرفة الفضل لأهله كان من مفاخر العرب الذي يعتزون به حتى الكفار منهم

ففي صلح الحديبية جاء أبو مسعود الثقفي إلى رسول الله ﷺ وبدأ يحاوره وأساء الأدب مع رسول الله ﷺ فقال: يا محمد هل سمعت أحدا من العرب اجتاح أصله قبلك وإن تكن الأخرى فو الله إني أرى وجوهاً وأرى أشواباً من الناس خلقاء أن يفروا ويدعوك

فقال أبو بكر الصديق ـ رضوان الله عليه ـ : امصص ببظر اللات أنحن نفر وندعه ؟!

فقال أبو مسعود : من هذا ؟ قالوا: أبو بكر بن أبي قحافة.

فقال: أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي ـ لم أجزك بها ـ لأجبتك.

فعرف فضله ومنته عليه فلم يقابله بالسوء مع أنه كان كافرا !

فحري بك يا عبد الله أن تعرف الفضل لأهله عملاً بقوله سبحانه:{هل جزاء الإحسان إلا الإحسان} [الرحمن: ٦٠]

وقوله ﷺ كما في الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه:« لا يشكر الله من لا يشكر الناس »

واقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في أفعاله، مع نسائه، وأصحابه، والناس كلهم، فقد كان ﷺ يعرف لذي الفضل فضله كما سبق ذكر بعض الأدلة في ذلك، وتكون بهذا مظهراً لصورة الإسلام الحسنة على حقيقتها ومن عرفك أحبك وأعظم من ذلك أن تكسب بذلك محبة الله سبحانه {لئن شكرتم لأزيدنكم} [إبراهيم: ٧]

هذا ما يسره الله جل شأنه، وتقدست أسماؤه، فله الحمد وحده، وله الفضل كله، وله المنة العظمى، لا نحصي ثناءً عليه، سبحانه وتعالى.

فما كان من صواب فمن الله وحده

وما كان من خطأ، وخطل، وخلل فمن نفسي، والشيطان، وأنزه الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم عن ذلك

والحمد لله رب العالمين

كتبه/ أبو محمد عبد الله بن عبد الباري بن محمد التعزي الماوي

وفقه الله وسدده وثبته

الثلاثاء / ٢٨ / شوال / ١٤٤٥ هجرياً

(اليمن_محافظة تعز _ مديرية ماوية _ منطقة السويداء)

[مسجد السنة القائم عليه شيخنا أبو أسامة مشير بن أحمد الشرعبي حفظه الله ورعاه]

تمت مراجعته يوم الثلاثاء / ٦ / شهر الله المحرم ١ / ١٤٤٧ هجريا

[اليمن _ محافظة الضالع _ مسجد شيخنا أبي عبد الرحمن رشاد ابن أحمد الضالعي حفظه الله ورعاه]

الفهرس